ابن عربي هو القائل

جمع وترتيب

ذاكر الحنفي

دار الإحسان للنشر والتوزيع

٤١٥

الكتب النادرة التي ترفع الأزمة

ابن عربي هو القائل

Copyright
All rights reserved ©

موبايل: ٠١١٢١٠٧٧١٧٤
Email: darelehsan@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة، لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو تخزينه أو تسجيله بأية وسيلة أو تصويره دون موافقة كتابية من الناشر.

Exclusive rights, No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means or stored in a database or retrieval system, without the prior written permission of the publisher

الكتاب: ابن عربي هو القائل
جمع وترتيب: ذاكر الحنفي
الناشر: دار الإحسان
سنة الطباعة: ٢٠٢٠
بلد الطباعة: القاهرة، مصر
الطبعة: الأولى
رقم الإيداع: ٢٠١٩/١١٨٠٥
الترقيم الدولي: 978-977-6552-81-4

ابن عربي هو القائل

جمع وترتيب

ذاكر الحنفي

دار الإحسان
للنشر والتوزيع

الكتب النادرة التي ترفع لأول مرة

استهلال

أبياتٌ نظمتُها على عجلٍ قبلَ سنوات في مولدِ سيدي الشيخ الأكبر[١]:

في العالمِ العلْويِّ أعلامُ الهدَى ... رُفعتْ ونادتْ بالمَلا الأفراحُ
والأرضُ جذلَى -يا خليلُ- طروبةٌ ... ترى البشايرُ.. زالتِ الأتراحُ
في يومِ مولدِ سيّدي الفردِ الذي ... عمَّ المعاهدَ نورُهُ الوضَّاحُ
الشيخُ محيي الدينِ وارثُ أحمدٍ ... الحاتميُّ الماجدُ الجحْجاحُ
في بابِهِ الأقطابُ طافتْ تَجْتَلِي ... منهُ[و] عليهمْ دارتِ الأقداحُ
خِرِّيتُ مَهْمَهَةِ الحقايقِ يا فتَى ... اِلزَمْ.. فترْبُ ذيولِهِ الأرباحُ
يا عاذلي لوْ لاحَ نورُ جبينهِ ... خجلتْ -لَعمري- الشمسُ والمِصباحُ
يا عاذليْ لو شِمتَ بارقَ ذيلِهِ ... إنْ ذبتَ وجدًا ما عليكَ جُناحُ

---

١) ١٧ / رمضان/ ١٤٣٧هـ ٢٢ / حزيران / ٢٠١٦م.

نظَمَ المعارفَ في بديعِ فتوحِهِ بَحرٌ لـهُ الـقـرآنُ لا الألـواحُ
العارفونَ لقولهِ قد أذعنوا سكِرَتْ بحسنِ بيانِهِ الأرواحُ
والجاهلون بوهمِهِمْ قد شَوْشَروا فالعينُ غَينٌ واللسانُ صِياحُ
إنْ شئتَ تَحظَى -يا فقيرُ- بكنزِهِ فالقلبُ واعٍ.. والفهومُ صِحاحُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي أزاحَ عنِ الوجوداتِ ظلمةَ العدَم، بفيضِ نورِ إيجادِه بمحضِ الكرَم، واختارَ النوعَ الإنسانيَّ عنهُ خليفةً أعظم، واصطفى منه الصراطَ الأقوم، والكنزَ المُطلْسَم، والحَبيبَ المعظَّم، سيدَنا ومولانا ونورَ عيونِنا محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم، بابُ الخلقِ إلى الحقِّ الأكرَم، وأفاضَ عليهِ من العلومِ والأسرارِ ما يَعجزُ عن الإحاطةِ به مَخلوقٌ وما يُعيي تسطيرُه ذوي البيانِ من مفهومٍ ومنطوقٍ، ولو كانتِ البحارُ لَهُمُ المِدادَ وأشجارُ الأرضِ القلَم، وأقامَ عنهُ منَ الأولياءِ والأصفياءِ النوّابَ والخدَم، فغرفُوا من بحارِ الحقائقِ المحمّديّةِ والدقائقِ الأحمديّةِ ما تحارُ بهِ العقول، وتعجزُ عنْ دركِهِ الفُحول!

والصلاةُ والسلامُ الأتمّانِ الأكملانِ على سيّدِنا ومولانا أبي القاسمِ مُحَمَّدٍ، قبلةِ العوالِمِ، قطبِ الأكوان، أوّلِ التعيّنات، فاتقِ رتْقِ النبوّات، إنسانِ عينِ الحادِثات، سيّدِ أهلِ الأرضِ والسمواتِ، آدَمِ آدَمَ، أبي العالَم، عينِ الكلِّ وَلَولاهُ لَما كانَ، روحِ الكلِّ، ولأجلِهِ خُلقَ وَكان، وعلى آلِهِ العظامِ أئمّةِ العارِفينَ وأقطابِ الواصلينَ،

وعلَى أصحابِه أجمَعِين، السادَةِ الأعلامِ الراسخينَ بالنظَرِ المُحمّديِّ فَفَاقوا السابِقِينَ واللّاحقِين، وعلى الأولياءِ والصالِحِينِ والأقطابِ المتمكّنين، الذينَ تفيأوا ظِلالَ ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]، وعلى مَن أحبَّهمْ وسارَ على نهجِهم إلى يومِ الدين.

أما بعدُ:

فإنَّ منَ العلاماتِ الفارقةِ في رجالاتِ الأمةِ المحمديةِ والتي هيَ ملءُ السمعِ والبصرِ سيدَّنا ومولانا الشيخَ محيي الدين ابنَ العربي، محمدُ بنُ عليِّ بنِ محمدٍ الحاتميُّ الطائيُّ الأندلسيُّ (ت٦٣٨هـ)[1].

هذي القامة العلميةُ التي ملأتِ الدنيا بالعلومِ والمعارف، واعترفَ واغترف من بحارها الإنسانيةُ جمعاء من كلِّ عارفٍ وغارف، وأقرّ بعلوِّ كعبِها وتبحّرِها الموافقُ ومن قبلِه المخالِف!

شاءَ الله أنْ لا تتفقَ كلمةُ البشرِ على إنسان، ﴿يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨- ١١٩].

---

١) كي لا أطيلَ في تعريف المعرَّف لم أقف عند ترجمة الشيخ، فمن أرادها فعليه بطبقات سيدي الشعراني وجامع كرامات الأولياء لسيدي يوسف النبهاني، وكتاب نفح الطيب وغيرها.

والشيخُ رحمهُ اللهُ ممّن نالَ النصيبَ الأوفرَ منْ هذا الاختلاف!

ولعلّه أشارَ إلى ما سيقعُ لهُ من طعنٍ وأذًى وإجحاف، حيثُ قال: (واقعة): اعلمْ وفّقكَ اللهُ بينا أنا أكتبُ هذا الكلامَ في مقامِ إبراهيمَ الخليلِ عليه السلام، ومقامُه عليه السلام قولُه تعالى فيه: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم: ٣٧]؛ لأنّه وفّى بما رأى من ذبحِ ابنِه أخذتني سِنَةٌ فإذا قائلٌ منَ الأرواحِ أرواحِ المَلأِ الأعلى يقولُ لي عنِ الله تعالى: ادخلْ مقامَ إبراهيمَ، وهوَ أنّه كان أوّاهًا حليمًا ثمَّ تلا عليّ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤] فعلمتُ أنّ اللهَ تعالى لا بدَّ أنْ يُعطيَني من الاقتدارِ ما يكونُ معَه الحلْمُ؛ إذ لا حليمَ عن غيرِ قدرةٍ على من يَحلمُ عنه، وعلمتُ أنَّ الله تعالى لا بدّ أنْ يبتليَني بكلامٍ في عِرضي من أشخاصٍ فأعامِلَهم معَ القدرةِ عليهم بالحلْمِ عنهم، ويكونُ أذًى كثيرٌ، فإنه جاءَ (حليم) ببِنْيةِ المبالغة، وهي فَعيل، ثمَّ وصفَ بالأوّاه، وهو الذي يَكثرُ منهُ التأوُّهُ لِمَا يُشاهدُه من جلال الله، وكونُه ما في قوّته ممّا ينبغي أنْ يعاملَ به ذلكَ الجلالَ الإلهيَّ منَ التعظيمِ؛ إذ لا طاقةَ للمُحدَثِ على ما يُقابلُ به جلالَ الله من التكبيرِ والتعظيمِ، فهذا أيضًا من قصدِنا مقامَ إبراهيمَ لنتّخِذَه مصلًى أيْ: موضعَ دعاءٍ في صلاةٍ أو إثْرَ صلاةٍ؛ لنيلِ هذا المقامِ، والصفةُ التي هي نعتُ إبراهيمَ خليلِ اللهِ وحالُه ومقامُه فنرجو أنْ يكونَ

لنا نصيبٌ من الخلّة كما حصلَ من درجةِ الكمالِ والختامِ والرفعةِ الساريةِ في الأشياءِ في هذه الأمّةِ الحظّ الوافر بالبشرى في ذلك، ومنْ مقامِ إبراهيمَ أيضًا أنه: ﴿كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾ [النحل: ١٢٠ - ١٢١][1].

وإنْ كانَ صوتُ الاختلافِ عليهِ قد علا بعدَ موته، فإني بحسبِ علمي لا أعلمُ صوتًا علا عليه بالنكيرِ أيامَ حياتهِ على الرغمِ من شهرتِه وانتشارِ كُتبِه[2]!

أمّا السادةُ الصوفيةُ فكلُّهم مجلٌّ لهُ معظمٌ قائلٌ بإمامتِه ورسوخِ قدمِه في المعارف، وإنْ خالفَه بعضُ الأئمةِ ورَدّوا عليه -فالعصمةُ

---

١) الفتوحات المكية (٤ / ١٥٧ - ١٥٨).

٢) قال ابن حجر في لسان الميزان (٧/ ٣٩٣): وقد اغترّ بالمحيي بن عربي أهل عصره فذكره ابن النجار في ذيل تاريخ بغداد، وَابن نقطة في تكملة الإكمال، وَابن العديم في تاريخ حلب والزكي المنذري في الوفيات، وما رأيت في كلامهم تعريجًا على الطعن في نحلته، كأنهم ما عرفوها، أو ما اشتهر كتابه الفصوص.

قلتُ: مع اشتهار كتبه في عصره لا معنى للاغترار! إذ ليس أهل عصره من الأغرار، بل هم أئمة فحول! ولا أدري لم لمْ يزد الحافظ ابن حجر احتمالَ أن النسخة محرفة أو نحو ذلك، وبه ينجو من الوقيعة في الشيخ ومن اتهام أهل عصره بالاغترار!

دُفنتْ بانتقالِ سيدِنا النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم- كالعارفِ عبدالكريمِ الجيليِّ والعارفِ الفاروقيِّ السرهنديِّ وغيرِهم [١]، ويكفيكَ لِتعلمَ منزلتَهُ عندَهم أنّهمْ يلقّبونَهُ بـ الشيخ الأكبر! وإذا أُطلقَ هذا اللقبُ كان هو المقصودَ بلا خلاف!

وأمّا الفقهاءُ والمتكلّمونَ فبينهمُ الخلافُ والخصامُ في شأنه، فهم بينَ معظِّمٍ مُجِلٍّ للشيخِ مدافعٍ عنه [٢]، مبرّئٍ لهُ ممّا يُعابُ عليهِ،

---

١) وهو اختلاف أذواق، وأرجعه بعضهم -كالبيطار وعبدالغني النابلسي- إلى أنه خلاف لفظي!

٢) منهم الإمام السيوطي، حيث ألف تنبيه الغبي إلى تبرئة ابن عربي. -وهو مطبوع- ومنهم الإمام قاضي القضاة الفيروز آبادي، ففي نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب (٢/ ١٧٦- ١٧٧) ما نصه: في الكتاب المسمى بـ « الاغتباط بمعالجة ابن الخيّاط» تأليف شيخ الإسلام قاضي القضاة مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي الفيروزآبادي الصديقي صاحب القاموس، قدّس الله تعالى روحه، الذي ألّفه بسبب سؤالٍ سئل فيه عن الشيخ سيدي محيي الدين بن عربي الطائي قدّس الله تعالى سرّه العزيز في كتبه المنسوبة إليه، ما صورته:

ما تقول السادة العلماء شدّ الله تعالى بهم أزر الدين، ولمّ بهم شعث المسلمين، في الشيخ محيي الدين بن عربي في كتبه المنسوبة إليه كالفتوحات والفصوص، هل تحلّ قراءتها وإقراؤها ومطالعتها؟ وهل هي من الكتب المسموعة المقروءة أم لا؟ أفتونا مأجورين جواباً شافياً لتحوزوا جميل الثواب، من الله الكريم الوهّاب،

وما بينَ مُعادٍ لَهُ مُخاصِمٍ حاطٍّ عليهِ، بل قائلٍ بتكفيرِه!

والحمد لله وحده.

فأجابه بما صورته:

الحمد لله، اللهم أنطقنا بما فيه رضاك، الذي أعتقده في حال المسؤول عنه وأدين الله تعالى به، أنّه كان شيخ الطريقة حالاً وعلماً، وإمام الحقيقة حقيقة ورسماً، ومحيي رسوم المعارف فعلاً واسماً:

إذا تغلغل فكرُ المرء في طرَفٍ من بحرِهِ غرقت فيهِ خواطرُهُ

وهو عباب لا تكدره الدّلاء، وسحاب لا تتقاصر عنه الأنواء، وكانت دعواته تخترق السبع الطّباق، وتفترق بركاته فتملأ الآفاق، وإنّي أصفه وهو يقيناً فوق ما وصفته، وناطق بما كتبته، وغالب ظني أنّي ما أنصفته:

وما عليَّ إذا ما قلتُ معتقدي دعِ الجهولَ يظنُّ العدلَ عدوانا

واللهِ واللهِ واللهِ العظيمِ ومن أقامَه حجّةً للدينِ برهانا

بأنَّ ما قلتُ بعضٌ من مناقبه ما زدتُ إلا لعلّي زدتُ نقصانا

وأما كتبه ومصنّفاته فالبحار الزواخر، التي لجواهرها وكثرتها لا يعرف لها أول ولا آخر، ما وضع الواضعون مثلها، وإنّما خصّ الله سبحانه بمعرفة قدره أهلها، ومن خواص كتبه أن من واظب على مطالعتها والنظر فيها، وتأمّل ما في مبانيها، انشرح صدره لحل المشكلات، وفك المعضلات، وهذا الشأن لا يكون إلا لأنفاس من خصّه الله تعالى بالعلوم اللدنية الربانية، ووقفت على إجازة كتبها للملك المعظم فقال في آخرها: وأجزته أيضاً أن يروي عني مصنّفاتي، ومن جملتها

والحقُّ أنَّ في كِلا الفريقينِ من المختلفينَ أئمةً فحولًا رحمهم الله ورضيَ عنهم.

وما كانَ قصدُ الأئمةِ منَ الردِّ والحطِّ إلا نصرةَ الشرعِ والدين، وحمايةَ حوزةِ عقائدِ المسلمين، فجزاهم الله كلَّ خير.

أما المسائلُ التي يُطعنُ بالشيخ بسببِها فأحسبُها أقسامًا:

قسمٌ ثابتٌ عنه مشكِلٌ كالمتشابه، وأرَى أنهُ يَهونُ الخطبُ إذا رُدَّ إلى محكَمِ نصوصِ الشيخِ المبثوثةِ في مصنّفاتِه -والتي جمعتُ في هذي الرسالةِ بعضًا منها- وأُوِّلتْ هذي النصوصُ المشكلةُ بما يُزيلُ عنها الإشكال، فحملُ قولِ المسلِمِ الموحِّد بيقينٍ -بلْهَ العلماء والصالحي-

---

كذا وكذا، حتى عد نيّفاً وأربعمائة مصنف، منها التفسير الكبير الذي بلغ فيه إلى تفسير سورة الكهف عند قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] وتوفّي ولم يكمل، وهذا التفسير كتاب عظيم، كل سفر بحر لا ساحل له، ولا غرو فإنّه صاحب الولاية العظمى، والصديقية الكبرى، فيما نعتقد وندين الله تعالى به. وثَمَّ طائفة، في الغي حائفة، يعظمون عليه النكير، وربّما بلغ بهم الجهل إلى حد التكفير، وما ذاك إلا لقصور أفهامهم عن إدراك مقاصد أقواله وأفعاله ومعانيها، ولم تصل أيديهم لقصرِها إلى اقتطاف مجانيها:

عليّ نحتُ القوافي من معادِنها ... وما عليّ إذا لم تفهمِ البقرُ

هذا الذي نعلم ونعتقد، وندين الله تعالى به في حقه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

على محمَلٍ حسنٍ مِنْ حُسنِ الظنِّ المأمورِ بهِ، ومن إقالةِ عثراتِ ذوي المروءات.

والقولُ بأنّنا لا نؤوّلُ إلا كلامَ المعصومِ غيرُ سديد، فلئن كانَ النبيُّ الراسخُ الذي يحيطُ باللغةِ ومدلولاتِها القادرُ على صياغة النصوصِ بما لا يُشكلُ نُؤوّلُ بعضَ ما يصلُنا عنه فمَن دونَه منَ الأولياءِ ممن هم قطرةٌ في بحرِ رسوخِه وقدرتِه وإحاطتِه وتمكّنِه أولَى بالتأويل، كما قالَ سيدي عليٌّ الخواص في بعضِ ما نقلَه عنه سيدي الشعراني رضي الله عنهما حيث قال: وقد عجبتُ من يؤوّلُ أخبارَ الصفاتِ كيفَ لم يؤوّلْ كلامَ العارفينَ معَ كونِهِمْ أولى بالتأويلِ منَ الرسُلِ؛ لِنقصِهم في الفصاحةِ عنِ الرسُل[1].

وقسمٌ جاءَ عنه قولانِ، أحدُهما موافقٌ لِمَا عليه جمهورُ المسلمين، والآخر مخالفٌ، فالقولُ فيه أنَّه إذا ثبتَ عن عالمٍ قولان أخذْنا بما يوافقُ الجمهورَ وهجرْنا الثاني[2].

وقسمٌ لا يَثبتُ عنه، ولا تصحُّ نسبتُه إليهِ. وعدمُ ثبوتِه كافٍ في

---

١) درر الغواص في فتاوى سيدي علي الخواص (ص ٨٥).

٢) كالقولِ بقبولِ إيمانِ فرعون، فقد نقلتُ عنهُ في النصوصِ أنه يجعله من أهل النار الذين هم أهلها، الخالدين فيها والعياذ بالله.

دحضِه[١].

وأهمسُ في أذن أمثالي من طلابِ العلمِ ناصحًا: إن كان ولابدَّ منَ الخوضِ في هذا البابِ فاكتفِ بردِّ القولِ، ودعْكَ منَ التكفيرِ والطعنِ والهمزِ واللمز خشيةَ أنْ تأتيَ يومَ القيامةِ وخصمُك وليٌّ من أولياءِ الله، ويا خسارةَ مَن خصمُه وليٌّ مقرّبٌ محبوبٌ!

هذا، وقد كنتُ رأيتُ قبلَ زمنٍ مقطعَ فديو لشابٍّ مصريٍّ غيورٍ على دينِه وهو يردُّ على كاتبةٍ علمانيةٍ تشبّثتْ ببعضِ نصوصِ الشيخ، حملتْها على غيرِ وجهِها في الدعوةِ إلى وحدةِ الأديان!!

فانبرى لها ذاكَ الشابُّ بقولِه: ابن عربي هو القائل... ثمّ جاءَ بأقوالٍ للشيخ -لا تخرجُ عن الأقسام التي ذكرتها- وألزم بإلزامات فاتَه أنَّ الشيخَ نفسُه صرّحَ ببطلانها! إلا أنّه أراد دحضَ ما توهّمتْه مستندًا لها.

فشرعتُ يومَها بنقلِ بعضِ نصوصِ الشيخ والتي تعارضُ ما زعمتْ وما زعمَ، نشرتُها تِباعًا في صفحتي القديمة في الفيس بوك

---

١) كالقول الكفريّ الذي يُنسبُ للشيخ -وحاشاه-:

وما الكلبُ والخنزيرُ إلا إلهُنا ... وما الله إلا راهبٌ في كنيسةِ.

تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

(ذاكر الحنفي) تحتَ عنوان: (الشيخ الأكبر ابن عربي هو القائل).

ثمّ أشارَ عليَّ بعضُ أهلِ العلمِ أنْ أجمعَ هذي النقولَ وأخرجَها في رسالة!

فأجبتُه إلى طلبتِه، ونزلتُ عندَ رغبتِه، ثمَّ زدتُ على تلكِ النقولِ بما أحسبُه يوضحُ بارقةً من فكرِ الشيخِ ومعتقدِهِ.

منهجي في العمل

اخترتُ من نصوصِ الشيخ من بعض كتبِهِ بحسبِ ما أردتُ بيانَه وهو تفريقُ الشيخِ –كسائرِ العقلاء بلْهَ المسلمين– بين الخالقِ والمخلوقِ، وأنّ الأمر ليسَ كما يُفهمُ من بعضِ متشابهاتِ نصوصِه. وأنّ الشيخ غير قائلٍ بتفضيلِ الوليّ على النبيِّ كما يشيعُ عنه بعضُ من يجهلُ، وبيانُ تعظيمِ الشيخِ للشرعِ الشريفِ ووقوفِه عندَ حدودِه، ومنْ نقلِ بعضِ كلامِه في أحكام أهلِ الذمِة تلمسُ اندفاعَ ما يُشنشِنُ بِهِ بعضُ الضالينَ والمشاغبينَ من أنّ الشيخَ –وحاشاه– يقولُ بوحدةِ الأديانِ!! وذكرُ بعضِ علومِ الشيخِ وفهومِه وأنّ التصوفَ عندَه هو العبوديةُ الحقة لله تعالى، لا كما ينتشرُ اليومَ.

وفقًا لِمَا بينتُه من مقصدي في الاختيارِ جعلتُ النصوصَ تحتَ عناواتٍ تجمعُها وتبينُ المرادَ العامَّ منها، وإنْ كان لكلِّ جملةٍ معانٍ جمّةٌ، فإنّ قلمَ الشيخِ يَملأُ الحرفَ معانيَ قد لا تبدو منْ أوّلِ وهْلةٍ.

نقلتُ نصَّ الشيخِ بحرفِه ووثقتُهُ بالجزءِ والصفحةِ.

ما أحسبُهُ خطأً مطبعيًا في النصِّ المختارِ أُثبتُ ما أراهُ الصوابَ في النصِّ بينَ قوسينِ هكذا []، وأذكرُ ما أراهُ الخطأَ في الهامش.

ما أضيفُه منّي لاستقامةِ النصِّ أجعلُهُ أيضًا بينَ قوسينِ، وأبينُ ذلكَ في الهامشِ.

خرجتُ الآثارَ ما استطعتُ.

ضبطتُ ألفاظَ النصِّ، وبينتُ معانيَ بعضِها.

ضبطتُ الأشعارَ وذكرتُ بحورها وناظمَها إنْ وقفتُ عليهِ.

لم أترجمْ للأعلام؛ لأنّ أغلبَ من وَرَدَ من المشهورينَ، سوى واحدٍ أو اثنينِ.

أرجو أنْ يكونَ هذا الجمعُ مبيِّنًا للقارئ الكريمِ بعضًا من جوانبِ علومِ الشيخِ ومعتقدِهِ، وأنّه سُنِّيٌّ سَنِيٌّ، وإنْ كانَ للشيخِ اختياراتُه بحسبِ ما يَظهرُ لهُ سواءٌ في العقائدِ أم في الفروع!

ولمّا انتهيتُ من تبييضِ ما سطّرتُ سمّيتُه:

ابنُ عربي هو القائل

هذا ما أردتُ وما قصدتُ، فإن أكنْ وُفّقتُ في الجمعِ والاختيارِ فمن فضلِ الله وحدَه ولهُ الحمدُ، وإنْ أخطأتُ فمنّي وأستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه، واللهُ ورسولُه صلى الله عليه وآله وسلم منهُ بريئانِ، والشيخُ الأكبرُ منه بريءٌ.

والحمدُ لله أولًا وآخرًا، وصلى الله وسلَّمَ على حبيبِه ومصطفاه سيدِنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ ومَنْ والاه.

وكتبه المتشبّثُ بأعتاب رسول الله

ذاكر الحنفي

العراق – الفلوجة

ضحوة الأربعاء: ١٧/ جمادَى الأولى/ ١٤٤٠هـ

٢٣/ كانون الثاني/ ٢٠١٩م.

الإلهيات وفلسفة الوجود

• الـربُّ حقٌّ، والعبدُ حقٌّ يا ليتَ شعري من المكلَّفْ
إنْ قلت عبدٌ، فـذاكَ ميْتٌ أو قلت رَبٌّ أنّى يُكَلَّفْ[١].

• الإلهُ لا يكونُ مَحلًّا للحوادِث[٢].

• العالَمُ ما هو عينُ الحقِّ، وإنّما هو ما ظهرَ في الوجودِ الحقِّ؛ إذ لو كانَ عينَ الحقِّ ما صحَّ كونُه بديعًا[٣].

---

١) الفتوحات المكية (١ / ٨٦).

هذا البيتان مما حُرِّف من كلام الشيخ، وجعلوه:

الـــربُّ عـبـدٌ والـعـبـدُ ربٌّ يـا لـيـت شـعـري مـن المكـلّـف
إن قـلـت عـبـدٌ فـــذاك ربٌّ أو قـلـت ربٌّ أنـــى يكلف

والمثبتُ هو الموجود في النسخة التي بخط الشيخ نفسه.

ومما حُرِّف أيضًا قوله:

عقدَ الخلائقُ في الإلـهِ عقائدًا وأنـا شـهـدتُ جمـيـعَ مـا عقدوه

صيروه: وأنا اعتقدتُ جميع ما عقدوه. ينظر مقدمة تحقيق الفتوحات (١/ ١٣-١٤).

٢) الفتوحات المكية (٥/ ٥٢٠).

٣) الفتوحات المكية (١١/ ٥٤٥).

• مَن فصَلَ بينَكَ وبينَه أثبتَ عينَك وَعينَه، ألا تَراهُ تعالى قد أثبتَ عينَكَ وفصلَ كونَك بقولِه -إن كنتَ تنتبهُ-: «كنتُ سمعَه الذي يَسمعُ به»[١] فأثبتَك بإعادةِ الضميرِ إليكَ؛ ليدلَّ عليكَ، وما قال بالاتحادِ إلا أهلُ الإلحاد[٢].

• فإنَّه اللهُ الخالق، وأنتَ العبدُ المخلوقُ. وكيفَ للصنعةِ أنْ تكونَ تعلمُ صانعَها، وإنّما تطلبُ الصنعةُ منَ الصانعِ صورةَ علمِه بها، لا صورةَ ذاتِه، وأنتَ صنعةُ خالقِكَ، فصورتُكَ مطابقةٌ لصورةِ علمِهِ بكَ، وهكذا كلُّ مخلوقٍ، ولو لمْ يكن الأمرُ كذلك وكانَ يجمعُكما حَدٌّ وحقيقةٌ كما يَجمعُ زيدًا وعَمرًا لكنتَ أنتَ إلهًا، أو يكونُ هو مألوها حتى يجمعُكما حدٌّ واحدٌ، والأمرُ على خلاف ذلكِ، فاعلَمْ

---

١) صحيح البخاري (٨/ ١٠٥)، برقم (٦٥٠٢): قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته.

٢) الفتوحات المكية (١٢/ ١٥١).

بأيِّ ميزانٍ تَزنُ نفْسَك معَ ربِّكَ، ولا تعجبْ بنفْسِكَ[١].

• الوجودُ منقسمٌ بينَكَ وبينَه؛ لأنَّهُ مقسومٌ بينَ ربٍّ وعبدٍ، فالقديمُ الربُّ، والحادثُ العبدُ[٢].

• اعلَمْ أنَّ الوجودَ قد انقسمَ في ذاتِه إلى ما لَهُ أوّلٌ وهوَ الحادِث، وإلى ما لا أوّلَ لهُ وهوَ القديم[٣].

• بايَنَهُمْ بِقِدَمِهِ كَما بَايَنُوهُ بِحُدُوثِهِمْ[٤].

• انفردَ سبحانَه بِعلمِها[٥]، وَنفَى العِلْمَ عَنْ كلِّ ما سِواهُ بها، فَأثبَتَكَ في هذِهِ الآيةِ، وأعلَمَكَ أنَّكَ لستَ هوَ؛ إذْ لوْ كُنتَ هوَ -كما تَزعمُ- لَعلمتَ مفاتِحَ الغيبِ بذاتِكَ، وما لا تَعلمُهُ إلا بِموقِّفٍ فَلَسْتَ عَينَ المُوَقِّفِ[٦].

---

١) الفتوحات المكية (٧ / ٣٥٩).

٢) الفتوحات المكية (١٢ / ٣٨٠)

٣) الفتوحات المكية (١١ / ٢٨٢).

٤) الفتوحات المكية (١/ ٢١٢).

٥) أي: مفاتح الغيب، بقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

٦) الفتوحات المكية (٨ / ٥٣٠).

• ما ثَمَّ إلا حقٌّ وخلقٌ، كلّما أقبلتَ على شيءٍ أعرضتَ عن أمرٍ آخرَ[١].

• ليسَ العالَمُ معَ الباري في وجودِهِ، وليسَ بينَهما بَوْنٌ يُقَدَّرُ، بلْ هوَ ارتباطُ ممكنٍ بواجبٍ، ومخلوقٍ بخالقٍ[٢].

• معيَّتُه معَنا كما يستحقُّ جلالُه، وكما يَنبغي لِجلالِهِ، ولولا ما نَسَبَ لِنفسِهِ أنَّه معَنا لمْ يقتضِ العقلُ أنْ يُطلقَ عليه معنى المعيّة، كما لا يَفهمُ منها العقلُ السليمُ حينَ أَطلقَها الحقُّ على نفسِهِ ما يَفهمُ من معيّةِ العالَمِ بعضِهِ معَ بعضٍ؛ لأنّه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى: ١١]، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقالَ تعالى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] لموسى وهارون، فنقول: إنَّ الحقَّ معَنا على حدِّ ما قالَهُ وبالمعنى الذي أرادَهُ[٣].

• علمتُ إبطالَ التوالدِ وأنّ المحرِّكَ للأشياءِ هوَ اللهُ تعالى وأنَّ السببَ لا أثرَ لهُ في الفعلِ جملةً واحدةً[٤].

---

١) رسائل ابن عربي، كتاب التراجم (٢٢٩).

٢) رسائل ابن عربي، كتاب المسائل (ص ٣١٤).

٣) الفتوحات المكية (١/ ٥٥٨ -٥٥٩).

٤) الفتوحات المكية (٢ / ١٦٩)، والتوالد أو التولد هو كون الفعل مفعولاً

• إذا أخليتَ العالَمَ من حفظِ الله لم يكن للعالَمِ وجودٌ وفنيَ، وإذا سرى حفظُ اللهِ في العالَمِ بقيَ العالَمَ موجودًا، فبظهورِه وتجلّيه يكونُ العالَمُ باقيًا. وعلى هذه الطريقةِ أصحابُنا، وهي طريقةُ النبوّة، والمتكلمون من الأشاعرةِ أيضًا عليها، وهم القائلون بانعدامِ الأعراض لأنفسها، وبهذا يصحُّ افتقارُ العالَمِ إلى اللهِ في بقائِه في كل نَفَسٍ، ولا يزالُ اللهُ خلّاقًا على الدوام[1].

• أخبرنا تعالى في الحديثِ المرويِّ عنه أنَّ الصومَ له، وكلَّ عملِ ابنِ آدمَ لابنِ آدمَ[2]، يقول: إنَّ التنزُّهَ عن الطعامِ والشرابِ

بواسطة فعل آخر، كرمي الرامي بالسهم ثم مقتل المَرمِيِّ برمية السهم. والمعتزلة يقولون إن كلا الفعلين مخلوق للعبد، ولكن الأول بلا واسطة، والثاني بواسطة فعل آخر. ويظهر هذا مثلاً في الذنوب كالقتل بالسهم، فالرمي فعل الرامي وخلقه بلا واسطة، والقتل المترتب على الرمي فعلُ الرامي كذلك، ولكن بواسطة الرمي؛ فهذا الثاني هو التولد، أي تولد الفعل الثاني عن الأول. وأما أهل السنة فيقولون: كلا الفعلين مخلوق لله تعالى.

١) الفتوحات المكية (١ / ٥٧١).

٢) صحيح البخاري (٣/ ٢٦)، برقم (١٩٠٤): قال رسول الله ﷺ: قال الله: «كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل إني امرؤ صائم».

والنكاحِ لي لا لكَ يا عبدي؛ لأنّي القائمُ بنفسي، لا أفتقرُ في وجودِي إلى حافظٍ يحفظُه عليَّ، وأنتَ تفتقرُ في وجودِكَ لحافظٍ يحفظُه عليكَ وهوَ أنا، فجعلتُ لكَ الغذاءَ وأفقرتُكَ إليه؛ لِينبّهَكَ أنّي أنا الحافظُ عليكَ وجودَك، لِيصحَّ عندَكَ افتقارُك، ومع هذا الافتقارِ طغيتَ وتجبّرتَ وتكبّرتَ وتعاظمتَ في نفسِكَ وقلتَ لِمَنْ هو مِثلُكَ: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، و﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، وأنا وأنا وأنا، وما استحييتَ في ذلكَ من فضيحتِكَ بجوعِكَ وعطَشِكَ وبولِكَ وخراءَتِكَ وتألّمِكَ بالحرِّ والبردِ والآلامِ العارِضَةِ[١].

• اعلَمْ أنَّ الذلَّةَ والافتقارَ لا تكونُ من الكونِ إلا لله تعالى، فكلُّ مَنْ تَذلَّلَ وافتقرَ إلى غيرِ الله تعالى واعتمَدَ عليهِ وسَكَنَ في كلِّ أمرِهِ إليهِ فهو عابدُ وَثَنٍ، وذلكَ المفتقَرُ إليه يسمَّى وَثَنًا، ويُسمّيه المفتقِرُ إلهًا، وألطفُ الأوثانِ الهوى، وأكثفُها الحجارةُ[٢].

• قدّرَ اللهُ لكلِّ شيءٍ أجَلًا في أمْرٍ ما يَنتهِي إليه، ثمَّ يَنتقِلُ إلى حالةٍ أخرى يَجرِي فيها أيضًا إلى أجَلٍ مسمًّى؛ فإنَّ اللهَ خلّاقٌ على

---

١) الفتوحات المكية (٣ / ١٠٧).

٢) الفتوحات المكية (٧/ ٦٢).

الدوامِ معَ الأنفاس، فمِنَ الأشياءِ ما يكونُ مدّةُ بقائِهِ زمانَ وجودِه، وينتهي إلى أجلِهِ في الزمانِ الثاني من زمانِ وجودِه، وهيَ أقصرُ مدّةٍ في العالَمِ، وفعَلَ اللهُ ذلكَ لِيصِحَّ الافتقارُ مع الأنفاسِ منَ الأعيانِ إلى الله تعالى، فلو بقيتْ زمانَينِ فصاعِدًا لاتّصفَتْ بالغنى عن الله في تلكَ المدّةِ، وهذهِ مسألةٌ لا يقولُ بها أحدٌ إلا أهلُ الكشفِ المحقّقِ منّا، والأشاعرةُ من المتكلمين[١].

• ارتباطُ العالَمِ باللهِ ارتباطُ ممكنٍ بواجبٍ، ومصنوعٍ بصانعٍ، فليس للعالمِ في الأزلِ مرتبةٌ، فإنّها مرتبةُ الواجبِ بالذات، فهو اللهُ، ولا شيءَ معَه[٢].

• أنتَ أنتَ، وهوَ هوَ، فاحذرْ أنْ تقولَ كما قالَ العاشقُ:

أنـا مَـنْ أهـوَى ومـنْ أهـوَى أنَا .....[٣]

---

١) الفتوحات المكية (٧ / ١٩٢ -١٩٣).

٢) الفتوحات المكية (١ / ١٩٢).

٣) من الرمل، للحلاج، وتمامه:

أنـا من أهـوى ومـن أهـوى أنا نـحـن روحـــانِ حـلـلـنـا بـدنـا

فـــإذا أبـصرتَـنـي أبـصرتَـهُ وإذا أبـــصرتَـــه أبـصرتـنـا

ديوان الحلاج (ص٢٦).

فهلْ قدِرَ على أنْ يرُدَّ العينَ واحدةً؟! واللهِ ما استطاعَ؛ فإنَّ الجهلَ لا يُستطاعَ، فأتى بذكرِهِ وذكِرِ مَنْ يهوى، ففرِّقْ واعتقدِ الفرقانَ، تكنْ منْ أهلْ البرهانِ، لا، بلْ منْ أهلِ الكشفِ والعَيانِ، قدْ علمْتَ أنَّ ثَمَّ غطاءً يُكشفُ وقدْ آمنتَ بهِ فلا تُغالِطْ نفسَكَ بأنْ تقولَ: أنا هوَ أو هوَ أنا[١].

• زلَّتْ أقدامُ طائفةٍ عن مجرى التحقيقِ فقالوا: ما ثَمَّ إلا ما ترَى!! فجعلتِ العالَمَ هو الله، واللهَ هو نفْس العالَمِ!! ليسَ أمرًا آخر!![٢].

• الوجودُ ليسَ عينَ الموجودِ إلّا في حقِّ الحقِّ سبحانَه، حتى لا يكونَ معلولًا لوُجودِهِ[٣].

• أقربُ ما اتصفَ بهِ الحقُّ في العبيدِ كونُهُ أقربَ منْ حبلِ الوَريدِ، فهوَ أقربُ إليكَ من نفسِكَ، معَ أنه ليسَ من جنسِكَ[٤].

• كيفَ يكونُ عينَ الكونِ وقدَ كانَ ولا كونَ؟![٥].

---

١) الفتوحات المكية (١٢ / ٢٥٩)

٢) مجموعة رسائل ابن عربي، التزلات الليلية في الأحكام الإلهية (٢/ ٣٦).

٣) الفتوحات المكية (٧ / ٥٤).

٤) الفتوحات المكية (١٢ / ٢٠٢).

٥) رسائل ابن عربي رسالة التجليات (ص ٣٣٨).

• قال عليه السلام: أصدقُ بيتٍ قالتِ العربُ:

«ألا كلُّ شيءٍ ما خَلا اللهَ باطِلُ .....»[١].

والموجوداتُ كلُّها وإنْ كانتْ ما سوى الله فإنها حقٌّ في نفسِها بلا شكٍّ، لكنّه مَنْ لمْ يكنْ لهُ وجودٌ منْ ذاتِه فحكمُهُ حكمُ العدمِ، وهوَ الباطلُ، وهذا منْ بعضِ الوجوهِ التي بها يَمتازُ الحقُّ سبحانَهُ منْ كونِهِ موجودًا عنْ سائرِ الموجوداتِ، أعني: وجودَهُ بذاتِهِ[٢].

• لا يلزمُ من وجودِ الصفاتِ المتعلّقةِ وجودُ المتعلَّقِ، كوجودِ القدرة أزلًا، وتعلُّقُها إنّما هوَ الإيجادُ، ولا يصحُّ أن يكونَ الإيجادُ

---

١) صحيح البخاري (٥/ ٤٢)، برقم (٣٨٤١): أَصْدَقُ كلِمةٍ قالها الشَّاعِرُ، كَلِمَةُ لَبِيدٍ:

أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللهَ بَاطِلٌ، وكادَ أُمَيَّةُ بنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسْلِمَ.

والبيت من الطويل، وتمامه:

ألا كُلُّ شيءٍ ما خَلا اللهُ باطِلُ وكــلُّ نـعـيـمٍ لا مَحـالـةَ زائِــلُ

من قصيدة يرثي النعمان بن المنذر، مطلعها:

ألا تَـسْـألانِ المَـرْءَ مـاذا يُحَـاوِلُ أنَحْبٌ فيُقضَى أمْ ضَـلالٌ وباطِلُ

ديوان لبيد بن ربيعة العامري (ص: ٨٥).

٢) رسائل ابن عربي رسالة التجليات (ص٣٢٧).

أزلًا، وكذلكَ العلْمُ لا يَلزمُ من وجودِهِ أنْ يكونَ متعلِّقًا بحقائِقِ المعلوماتِ، بلْ لَهُ صلاحيّةُ التعلق[١].

• اعلَمْ أنَّ لِلحقِّ سبحانَه في مشاهدةِ عبادِهِ إيّاهُ نِسبتينِ، نسبةُ تنزيهٍ ونسبةُ تنزُّلٍ إلى الخيالِ بضرْبٍ منَ التشبيهِ، فنسبةُ التنزيهِ تجلّيهِ في ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى: ١١]، والنسبة الأخرى تجلّيهِ في قولِه عليهِ السلامُ: «اعبُدِ اللهَ كأنّكَ تَراهُ»[٢]، وقولِهِ: «إنَّ اللهَ في

---

١) رسائل ابن عربي كتاب المسائل (ص٣١٩).

٢) مسند أحمد (١٠/ ٢٩٧)، برقم (٦١٥٦): عنْ عبدالله بنِ عمرَ قالَ: أخذَ رسول الله ﷺ بِبعضِ جسدي فقال: «اعبُدِ اللهَ كأنّكَ تَراهُ، وكنْ في الدنيا كأنّكَ غريبٌ، أو عابرُ سبيلٍ»، صحيح البخاري (١/ ١٩)، برقم (٥٠): كان النبي ﷺ بارزا يوما للناس، فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، وبلقائه، ورسله وتؤمن بالبعث». قال: ما الإسلام؟ قال: الإسلام: أن تعبد الله، ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان. قال: ما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، قال: متى الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان، في خمس لا يعلمهن إلا الله، ثم تلا النبي ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] الآية، ثم أدبر فقال: ردوه، فلم يروا شيئًا، فقال: هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم.

قِبلَةِ المُصلّي»[1] وقولِهِ تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، وثَمَّ ظرفٌ، ووجهُ الله ذاتُه وحقيقتُهُ، والأحاديثِ والآياتِ الواردةِ بالألفاظِ التي تَنطلقُ على المخلوقاتِ باستصحابِ معانِيها إيّاها، وَلوْلا استصحابُ معانيها إيَّاها المفهومةِ منَ الاصطلاحِ ما وَقَعَتِ الفائدةُ بذلكَ عندَ المخاطَبِ بِهَا؛ إذْ لمْ يَرِدْ عنِ الله شرحُ ما أرادَ بها ممّا يُخالِفُ ذلكَ اللسانَ الذي نَزَلَ بِهِ هذا التعريفُ الإلهيُّ، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، يعني: بِلُغَتِهِمْ؛ لِيعلموا ما هوَ الأمرُ عَليهِ، ولمْ يَشرحِ الرّسولُ المبعوثُ بهذهِ الألفاظِ هذِهِ الألفاظَ بشرحٍ يُخالِفُ ما وَقَعَ عَليهِ الاصطلاحُ فتُنسبُ تلك المعاني المفهومةُ منْ تلك الألفاظِ الواردةِ إلى الله تعالى كما نَسَبَها لِنفسِهِ، ولا يُتَحَكَّمُ في شرحِها بمعانٍ لا يَفهمُها أهلُ ذلكَ اللسانِ الذي نزلَتْ هذِهِ الألفاظُ بِلُغَتِهِمْ، فنكون منَ الذينَ ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]، ومن الذين ﴿يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

---

١) صحيح البخاري (١/ ٩٠)، برقم (٤٠٦): عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ رأى بصاقا في جدار القبلة، فحكه، ثم أقبل على الناس، فقال: «إذا كان أحدكم يصلي، فلا يبصق قبل وجهه، فإن الله قبل وجهه إذا صلى.

[البقرة: ٧٥] بمخالفتِهِمْ، ونُقِرُّ بالجهلِ بكيفيّةِ هذِهِ النِّسَبِ. وهذا هوَ اعتقادُ السلفِ قاطبةً من غيرِ مخالِفٍ في ذلك[١].

• يَستحيلُ تَبدُّلُ الحقائقِ؛ فالعبدُ عبدٌ، والربُّ رَبٌّ، وَالحقُّ حَقٌّ، والخَلْقُ خَلْقٌ[٢].

• اللهُ سبحانهُ لم يزلْ في أزلِهِ بذاتِهِ وصفاتِهِ وأسمائِه، لم يَتجدّدْ عليهِ حالٌ، ولا ثَبتَ لهُ وَصفٌ من خَلْقِ العالَمِ لمْ يكنْ قبلَ ذلكَ عليهِ، بل هوَ الآنَ على ما عليهِ كانَ قبلَ وجودِ الكَونِ، كما وَصفَهُ ﷺ حينَ قال: «كانَ اللهُ ولا شيءَ معَهُ»[٣]. وزِيدَ في قولِه ﷺ: وهوَ الآنَ على

---

١) الفتوحات المكية (٤ / ٢٧١- ٢٧٢).

٢) الفتوحات المكية (٦/ ٩٢).

٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وفي صحيح البخاري (٤/ ١٠٥)، برقم (٣١٩١): عن عمران بن حصين رضي الله عنهما ما، قال: دخلت على النبي ﷺ، وعقلت ناقتي بالباب، فأتاه ناس من بني تميم فقال: اقبلوا البشرى يا بني تميم، قالوا: قد بشرتنا فأعطنا، مرتين، ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن، فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن، إذ لم يقبلها بنو تميم، قالوا: قد قبلنا يا رسول الله، قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر؟ قال: كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض، فنادى مناد: ذهبت ناقتك يا ابن الحصين، فانطلقت، فإذا هي يقطع دونها السراب، فوالله لوددت أني كنت تركتها.

ما عليهِ كانَ، فاندرجَ في الحديثِ ما لَمْ يقُلْهُ، ومقصودُهمْ أنَّ الصفةَ التي وَجبَتْ لهُ قبلَ وجودِ العالَمِ هوَ عليها والعالَمُ موجودٌ، وهكذا هيَ الحقائقُ عندَ مَنْ أرادَ أنْ يقفَ عليها[1].

• أمّا مَعيَّةُ الذاتِ، فلا تَنْقَالُ؛ فإنّ الذاتَ مجهولةٌ، فلا تُعلَمُ نسبةُ المعيَّةِ إليها، فهوَ معَ الخَلقِ بالعِلْمِ واللطفِ، ومعَ الأصفياءِ بالتولِّي، ومعَ الأنبياءِ بالتأييدِ، ومعَ الخاصَّةِ بالمباسطةِ والأُنسِ[2].

• العلْمُ يَترتّبُ بِحسْبِ المَعلومِ، ويَنفصلُ في ذاتِه بحسبِ انفصالِ المعلومِ عن غيرِه، والشيءُ الذي به يَنفصلُ المعلومُ إمّا أنْ يَكونَ ذاتًا كالعقلِ منْ جهةِ جوهريّتِهِ وكالنفْسِ، وإمّا أنْ يكونَ ذاتًا من جهةِ طبعِهِ كالحرارةِ والإحراقِ للنّارِ، فكما انفصَلَ العقلُ عنِ النفْسِ منْ جهةِ جوهريّتِهِ كذلكَ انفصلَ النارُ عن غيرِه بما ذكرناه، وإمّا أنْ ينفصلَ عنهُ بذاتِهِ لكنْ بما هوَ محمولٌ فيهِ إمّا بالحالِ كجلوسِ الجالسِ وكتابةِ الكاتِب، وإمّا بالهيئةِ كسوَادِ الأسودِ وبياضِ الأبيضِ، وهذا حصْرُ مداركِ العقلِ عندَ العقلاءِ، فلا يوجدُ معلومٌ قطعًا للعقلِ منْ حيثُ ما هوَ خارجٌ عمّا وصفْنا إلا بأنْ نعلمَ ما انفصلَ بهِ

---

١) الفتوحات المكية (١/ ٢٤٣ -٢٤٤).

٢) الفتوحات المكية (٥ / ٢٣).

عن غيرِه إمّا منْ جهةِ جوهرِهِ أو طبعِهِ أو حالِهِ أو هيأتِهِ، ولا يُدركُ العقلُ شيئًا لا توجدُ فيهِ هذهِ الأشياءُ البتةَ، وهذهِ الأشياءُ لا تُوجدُ في الله تعالى، فلا يَعلمُهُ العقلُ أصلًا من حيثُ هو ناظرٌ وباحِثٌ، وكيفَ يعلمُهُ العقلُ من حيثُ نظرُهُ، وبرهانُهُ الذي يَستندُ إليهِ هوَ الحسُّ أوِ الضرورةُ أو التجربةُ، والباري تعالى غيرُ مدرَكٍ بهذهِ الأصولِ التي يَرجعُ إليها العقلُ في برهانِهِ، وحينئذٍ يصِحُّ لهُ البرهانُ الوجوديّ. فكيفَ يَدّعِي العاقِلُ أنَّهُ قد علِمَ ربَّهُ منْ جهةِ الدليلِ وأنَّ الباري معلومٌ لَهُ؟! ولوْ نظَرَ إلى المفعولاتِ الصناعيّةِ والطبيعيّةِ والتكوينيّةِ والانبعاثيّةِ والإبداعيةِ، ورَأى جهْلَ كلِّ واحدٍ منها بفاعلِهِ لَعَلِمَ أنَّ اللهَ تعالى لا يُعلَمُ بالدليلِ أبدًا، لكنْ يُعلَمُ أنَّه موجودٌ وأنَّ العالَمَ مفتقِرٌ إليه افتقارًا ذاتيًا لا محيصَ لَهُ عنهُ البتةَ، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥]، فمنْ أرادَ أنْ يعرفَ لُبابَ التوحيدِ فلْينظُرْ في الآياتِ الواردةِ في التوحيدِ منَ الكتابِ العزيزِ الذي وحَّدَ بِها نَفْسَهُ، فلا أحَدَ أعرَفَ منَ الشيءِ بِنفْسِهِ، فلْتَنْظُرْ بما وَصَفَ نفْسَهُ، وتَسأل اللهَ تعالى أنْ يُفهِمَكَ ذلكَ فستقِفُ على علْمٍ إلهيٍّ لا يَبلغُ إليه عقلٌ بفكرِهِ أبدَ الآبادِ[1].

---

١) الفتوحات المكية (١/ ٣٢١-٣٢٢).

• التوحيدُ نسبةُ فعْلٍ منَ الموَحِّدِ، يَحصلُ في نفْسِ العالِمِ بهِ أنَّ اللهَ واحِدٌ، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقد وُجِدَ الصلاحُ -وهوَ بقاءُ العالَمِ ووجُودُهُ- فدَلَّ على أنَّ المُوجِدَ لَهُ لوْ لمْ يكنْ واحدًا ما صحَّ وجودُ العالَمِ. هذا دليلُ الحقِّ فيهِ على أَحَدِيّتِهِ وطابقَ الدليلُ العقليُّ في ذلكَ، ولوْ كانَ غيرُ هذا من الأدلّةِ أدلَّ منهُ عليهِ لَعَدَلَ إليهِ وجاءَ بِهِ، وما عرّفَنا بهذَا ولا بالطريقِ إليهِ في الدلالةِ عليهِ. وقدْ تكلَّفَ قومٌ الدلالةَ عليهِ بطريقٍ آخر، وقدَحُوا في هذه الدلالة، فجمعُوا بينَ الجهْلِ فيما نَصَبَهُ الحقُّ دليلًا على أحديّتِهِ وبينَ سوءِ الأدَبِ!! فأمّا جهلُهُمْ فكونُهُمْ ما عَرفُوا موضعَ الدلالةِ على توحيدِه في هذه الآية، حتى قَدَحوا فيهِ، وأمّا سوءُ الأدبِ فمعارَضَتُهُمْ بما دَخلُوا فيها بالأمورِ القادِحةِ، فجعلُوا نظرَهمْ في توحيدِهِ أتمَّ في الدلالةِ ممّا دلَّ بهِ الحقُّ على أحديّتِهِ، وما ذَهَبَ إلى هذا إلا المتأخّرونَ من المتكلمينَ الناظرينَ في هذا الشأن، وأمّا المتقدّمونَ كأبي حامدٍ وإمامِ الحرمينِ وأبي إسحاقَ الإسفراييني والشيخ أبي الحَسَنِ فما عَرَجُوا عن هذهِ الدلالة، وسعَوا في تقريرِها وأبانوا عنِ استقامَتِها؛ أدَبًا معَ اللهِ تعالى، وعِلْمًا بموضعِ الدّلالةِ منها[1].

---

١) الفتوحات المكية (٥ / ٥١٩).

• واللهِ لولا الشريعةُ التي جاءتْ بالإخبارِ الإلهيِّ ما عَرَفَ اللهَ أحدٌ، ولو بَقِينا معَ الأدلّةِ العقليّةِ التي دلَّتْ في زعْمِ العقلاءِ على العِلْمِ بذاتِه بأنَّهُ ليسَ كذا وليسَ كذا ما أَحبَّهُ مخلوقٌ، فلمّا جاءَ الخبرُ الإلهيُّ بألسنةِ الشرائعِ بأنَّهُ سبحانَهُ كذا وأنَّهُ كذا من أمورٍ تُناقِضُ ظواهرَها الأدلّةُ العقليةُ أحببْناه لِهذِهِ الصفاتِ الثّبوتيّةِ، ثُمَّ بعدَ أنْ أوقَعَ النّسبَ وثبَّتَ السببَ والنّسَبَ الموجباتِ لِلمحبّةِ قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فثبَّتَ الأسبابَ الموجبةَ للحبِّ التي نفاها العقلُ بدليلِه، وهذا معنى قولِه: «فخلقْتُ الخلقَ فتعرّفتُ إليهم، فعَرَفوني»[١] فما يُعرفُ اللهُ إلا بما أَخبرَ بِهِ عن نفسِه من حبِّهِ إيّانا ورحمتِهِ بِنا ورأفتِهِ وشفقَتِه وتحبُّبِهِ ونزولِهِ في التحديدِ لِنُمَثِّلَه تعالى ونَجعلَهُ نَصْبَ أعينِنا في قلوبِنا وفي قِبلَتِنا وفي خَيالِنا حتى كأنّا نَراه، لا بل نَراهُ فِينا؛ لأنّا عَرَفْناهُ بِتعرِيفِهِ لا بِنَظَرِنا[٢].

• العاقلُ الحازمُ يقفُ ذليلًا مشدودَ الوَسَطِ في خدمةِ الشرعِ، قابلًا لكلِّ ما يُخبرُ بِهِ عن ربِّهِ سبحانَه وتعالى ممّا يكونُ عليهِ ومنهُ،

---

١) كنت كنزاً لَا أعرف، فأحْبَبْتُ أنْ أعرفَ، فخلقتُ الخلق، وعرّفتهم بِي، فعرفوني. لا أصل له. النخبة البهية في الأحاديث المكذوبة على خير البرية (ص: ٩٥).

٢) الفتوحات المكية (٥/ ٦٠٧).

فكانَ ممّا قد أخبرَ الحقُّ عن نفسِهِ أنْ قال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، وقالَ ﷺ: «لا أحَدَ أصبَرَ على أذًى منَ الله»(١)، وقال تعالى: «كذّبَني ابنُ آدم وشتمني ابنُ آدمَ»(٢)، وقال تعالى: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفتح: ٦]، وقالت الأنبياء قاطبة: «إنّ اللهَ يومَ القيامةِ يغضبُ غضبًا لمْ يغضبْ قبلَهُ مثلَهُ، ولنْ يَغضبَ بعدَهُ مثلَه»(٣). وسلَّمَ

---

١) صحيح البخاري (٨/ ٢٥)، برقم (٦٠٩٩): عن النبي ﷺ قال: «ليس أحد، أو: ليس شيء أصبرَ على أذًى سمعه من الله، إنهم ليدعون له ولدًا، وإنه ليعافيهم ويرزقهم».

٢) صحيح البخاري (٦/ ١٩)، برقم (٤٤٨٢): عن النبي ﷺ، قال: قال الله: «كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني، ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي، فقوله لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدًا».

٣) صحيح البخاري (٦/ ٨٤)، برقم (٤٧١٢): عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ أُتي بلحم فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه فنهش منها نهشة، ثم قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون ممّ ذلك؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه،

وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضبَ بعده مثله، وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح، إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبدًا شكورًا، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي عز وجل قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات - فذكرهن أبو حيان في الحديث - نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضبَ بعده مثله، وإني قد قتلت نفسًا لم أومر بقتلها، نفسِي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى ابن مريم، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبيا، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله قط، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبًا، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد، فيأتون محمدًا فيقولون: يا محمد أنت رسول الله

العاقلُ ذلكَ كلَّهُ إلى اللهِ في خبرِهِ عنْ نفسِهِ، كمَا سلَّمَ إليهِ سبحانَه أنَّه يَفْرَحُ بتوبةِ عبدِهِ، وكلُّ مَنِ اتصفَ بالفَرَحِ فيتّصفُ بنقيضِهِ، ووصَفَ نفسَهَ بأنَّهُ يتعجّبُ من الشابِّ ليستْ له صبوةٌ[١]، ووصَفَ نفسَهُ بأنّه يَضحكُ إذا قال هنادٌ[٢] يومَ القيامةِ: «أتهزأُ بي وأنتَ ربُّ العالمينَ؟!»[٣] ووصفَ نفسَهُ بأنّهُ يَتَبَشْبَشُ لِعبدِهِ إذا جاءَ المسجدَ يُريدُ

وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربي عز وجل، ثم يفتح الله عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئا، لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب، أمتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة، كما بين مكة وحِمْيَر، أو كما بين مكة وبصرى».

١) مسند أحمد (٢٨/ ٦٠٠)، برقم (١٧٣٧١): قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيعجبُ مِنَ الشابِّ لَيستْ لَهُ صَبْوَةٌ».

٢) ذلك الرجل قيل: اسمه هناد بالنون والمهملة، وقيل: جهينة، يقول أهل الجنة: سلوه هل بقي في النار من المؤمنين أحد. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٢٣/ ٦٢).

٣) مسند أحمد (٦/ ٢٥٣) برقم (٣٧١٤): عن عبد الله بن مسعود،، عن النبي

ﷺ قال: إن آخر من يدخل الجنة رجل يمشي على الصراط، فينكب مرة، ويمشي مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا جاوز الصراط، التفت إليها، فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله ما لم يعط أحدًا من الأولين والآخرين، قال: فترفع له شجرة فينظر إليها، فيقول: يا رب، أدنني من هذه الشجرة، فأستظل بظلها، وأشرب من مائها، فيقول: أي عبدي، فلعلي إن أدنيتك منها سألتني غيرها، فيقول: لا يا رب، ويعاهد الله أن لا يسأله غيرها، والرب عز وجل يعلم أنه سيسأله، لأنه يرى ما لا صبر له - يعني عليه - فيدنيه منها، ثم ترفع له شجرة، وهي أحسن منها، فيقول: يا رب أدنني من هذه الشجرة، فأستظل بظلها، وأشرب من مائها، فيقول: أي عبدي، ألم تعاهدني؟ يعني أنك لا تسألني غيرها فيقول: يا رب، هذه لا أسألك غيرها، ويعاهده، والرب يعلم أنه سيسأله غيرها، فيدنيه منها، فترفع له شجرة عند باب الجنة، هي أحسن منها، فيقول: رب أدنني من هذه الشجرة، أستظل بظلها، وأشرب من مائها، فيقول: أي عبدي، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ فيقول: يا رب، هذه الشجرة، لا أسألك غيرها، ويعاهده، والرب يعلم أنه سيسأله غيرها، لأنه يرى ما لا صبر له عليها، فيدنيه منها، فيسمع أصوات أهل الجنة، فيقول: يا رب، الجنة، الجنة، فيقول: أي عبدي ألم تعاهدني أنك لا تسألني غيرها؟ فيقول: يا رب أدخلني الجنة، قال: فيقول عز وجل: ما يصريني منك، أي عبدي؟ أيرضيك أن أعطيك من الجنة الدنيا ومثلها معها؟ قال: فيقول: أتهزأ بي، أي ربي وأنت رب العزة؟ قال: فضحك عبد الله، حتى بدت نواجذه، ثم قال: ألا تسألوني لم ضحكت؟ قالوا له: لم ضحكت؟ قال: لضحك رسول الله ﷺ، ثم قال لنا رسول الله ﷺ: ألا تسألوني لم ضحكت؟ قالوا: لم ضحكت يا رسول الله؟ قال:

الصلاةَ[1]، ووصفَ نفسَهُ بأنَّهُ يَكرَهُ لِعبادِهِ الكفرَ ويرضَى لهُمُ الشكرَ والإيمانَ[2]. فهذا كلُّهُ واجبٌ على كلِّ مسلمٍ الإيمانُ بِهِ، ولا يَقولُ العقلُ هنا: كيف؟ ولا: لِمَ كانَ كذا؟ بلْ يُسلِّمُ ويَسْتَسْلِمُ ويُصَدِّقُ ولا يُكيِّفُ، فإنَّه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى: ١١].

إلى أنْ قالَ:

فإنْ علمتَ ما قرّرناهُ جَمعتَ بينَ الإيمانِ الذي هو ﴿ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، وبينَ ما تَستحقُّهُ مَرتَبَتُكَ منَ التسليمِ للهِ في كلِّ ما يُخبرُ بِهِ عن نفسِهِ، ولا يُتَمكّنُ في الإفصاحِ عن هذا المَقامِ أكثرَ منْ هذا ولا أبلَغَ إلّا أنْ يُخبرَ الحقُّ بما هو أجلى في النسبةِ وأوضَحُ، وإنّما غايةُ المخلوقِ منْ هذا الأمرِ بِمجرَّدِ عقلِهِ هوَ هذا الذي قرّرْناهُ، إلّا عقولًا أدرَكَها الفضولُ فتأوَّلتْ هذِهِ الأمورَ، فنحنُ نُسلِّمُ لهمْ حالَهُمْ، ولا نُشارِكُهُمْ في ذلكَ التأويلِ، فإنّا لا نَدري هلْ ذلكَ مرادُ اللهِ بِمَا

لضحك الرب، حين قال: أتهزأ بي، وأنت رب العزة.

١) سنن ابن ماجه (١/ ٢٦٢)، برقم (٨٠٠): ما توطَّنَ رجلٌ مسلمٌ المساجدَ لِلصلاةِ والذكْرِ إلا تَبَشْبشَ اللهُ لَهُ، كما يَتَبشْبَشُ أهلُ الغائبِ بغائبِهم إذا قَدِمَ عليهِم.

٢) لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

قالَهُ فنَعتمُد عليهِ أوْ ليسَ بِمرادِهِ فنرُدّهُ؟! فلهذا التزمْنا التّسليمَ، فإذا سُئِلْنا عنْ مِثْلِ هذا قُلنا: إنّا مؤمنونَ بِمَا جاءَ منْ عندِ الله على مرادِ الله بهِ، وإنّا مؤمنونَ بِمَا جاءَ عنْ رسولِ الله صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ورسلِهِ عليهم السلامُ على مرادِ رسولِ الله صلى اللهُ عليهِ وسلّمَ ومرادِ رسلِهِ عليهم السلامُ، ونَكِلُ العلمَ في كلِّ ذلكَ إليهِ سبحانَه وإليهمْ[1].

• اعلمُوا أنَّ اللهَ تعالَى لمّا خَلَقَ القوّةَ المسمَّاةَ عقلًا وجَعَلَها في النفْسِ الناطقةِ ليقابِلَ بِهَا الشهوةَ الطبيعيّةَ إذا حكمَتْ على النفْسِ أنْ تصرفَها في غيرِ المصرفِ الذي عيّنَ لها الشارِعُ، فعَلِمَ اللهُ أنّهُ قدْ أودَعَ في قوّةِ العقلِ القبولَ لِمَا يُعطيهِ الحقُّ ولِمَا تُعطيهِ القوّةُ المفكّرَةُ، وقد عَلِمَ اللهُ أنّهُ جَعَلَ في القوّةِ المفكّرةِ التصرّفَ في الموجوداتِ والتحكّمَ فيها بِمَا يَضبطُهُ الخيالُ منَ الذي أعطتْه القوَى الحسيّةُ، ومِنَ الذي أعطتْهُ القوّةُ المصوّرَةُ ممّا لم تُدركْهُ مِنْ حيثُ المجموعُ بالقوّةِ الحسّيّةِ فعَلِمَ أنّهُ لا بدَّ أنْ تَحكمَ عليهِ القوّةُ المفكّرةُ بالتفكّرِ في ذاتِ مُوجِدِهِ وهوَ اللهُ تعالى، فأشفَقَ عليهَا منْ ذلكَ لِمَا عَلِمَهُ منْ قصورِها عنْ درْكِ ما تَرومُهُ من ذلكَ فخاطَبَها قرآنًا: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠]، يقولُ: ما حذّرناكمْ منَ النظَرِ في ذاتِ اللهِ إلا رحمةً

---

١) الفتوحات المكية (٧/ ٤٨٩ - ٤٩٩).

بكمْ وشفَقَةً عليكمْ لِمَا نَعلَمُ ما تُعطيهِ القوّةُ المفكّرةُ للعقلِ منْ نفْيِ ما نُثبتُهُ على أَلْسِنَةِ رسُلِي منْ صِفاتِي فتردّونها بأدلّتِكمْ فتُحرَمونَ الإيمانَ فتَشْقَونَ شقاوَةَ الأبدِ، ثُمَّ أمَرَ رَسولَهُ ﷺ أنْ يَنهانا أنْ نفكّرَ في ذاتِ الله[1]، كما فَعَلَ بعضُ عبادِ الله فأخذوا يَتكلّمونَ في ذاتِ الله منْ أهلِ النَّظَرِ، واختلفَتْ مقالاتُهُمْ في ذاتِ الله وكلٌّ تكلَّمَ بما اقتضَاهُ نَظَرُهُ، فنفَى واحدٌ عينَ ما أثبَتَهُ الآخرُ، فمَا اجتمَعُوا على أمرٍ واحدٍ في الله منْ حيثُ النظرُ في ذاتِهِ وعَصَوُا اللهَ ورَسولَهُ بما تكلّمُوا بِهِ ممّا نهاهمُ اللهُ عنهُ رحمةً بهِمْ، فرغِبُوا عنْ رحمةِ الله و﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]، فقالوا: هوَ عِلّةٌ، وقالَ آخرونَ: ليسَ بعلّةٍ، وقالَ آخرونَ: ذاتُ الحقِّ لا تَصحُّ أنْ تكونَ جوهرًا ولا عرضًا ولا جسمًا، بل عَينُ أنيتِها عينُ ماهيتِها، وأنها لا تدخلُ تحتَ شيءٍ منَ المَقولاتِ العشرةِ، وأَطنبوا في ذلك، وكانوا كما جاءَ في المَثَلِ: أَسْمَعُ جَعْجَعَةً ولا أَرَى طِحْنًا[2]. ثمَّ جاءَ الشرعُ بنقيضِ ما دَلّتْ

---

١) المعجم الأوسط (٦/ ٢٥٠)، برقم (٦٣١٩): قال رسول الله ﷺ: «تفكروا في آلاء الله، ولا تتفكروا في الله».

٢) الطِحن: بمعنى المطحون، والمثل يضرب لمن يَعِدُ ولا يفي. ينظر مجمع الأمثال (١/ ١٦٠).

عليهِ العقولُ، فجاءَ بالمجيءِ[١] والنزولِ[٢] والاستواءِ[٣] والفَرَحِ[٤] والضحكِ واليد[٥] والقدَمِ[٦] وما قد رُوِّينا في صحيحِ الأخبارِ ممّا هوَ من صفاتِ المُحدَثاتِ، ثمَّ جاءَ بـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، معَ ثبوتِ هذِهِ الصّفاتِ، فلوِ استحالَتْ عليهِ كمَا يَدلُّ عليهِ العَقلُ ما أطلَقَها على نفسِهِ، ولَكانَ الخبرُ الصدْقُ كذبًا؛ إذ ما بَعَثَ اللهُ رسولًا ﴿إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[إبراهيم: ٤] ما أنزلَ إليهم؛ ليَفهموا، وقدْ بيّنَ ﷺ وبلَّغَ وأَشهَدَ اللهَ على أمّتِهِ أنّهُ بَلّغَ، فجَهِلْنا النسبةَ بـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] خاصةً، وفهمْنا معقولَ هذِهِ

---

١) ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢].

٢) صحيح البخاري (٢/ ٥٣)، برقم (١١٤٥): عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني، فأستجيب له من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له».

٣) ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥].

٤) صحيح مسلم (٤/ ٢١٠٢)، برقم (٢٦٧٥): قال رسول الله ﷺ: «لله أشد فرحًا بتوبة أحدكم، من أحدكم بضالته، إذا وجدها».

٥) ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

٦) صحيح البخاري (٦/ ١٣٨)، برقم (٤٨٤٩): «يقال لجهنم: هل امتلأت، وتقول هل من مزيد، فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها، فتقول: قط قط».

الألفاظِ الواردَةِ، وأنَّ المعقولَ منْها واحدٌ بالنظرِ إلى الوضْعِ، فتختلِفُ نسبتُها باختلافِ المنسوبِ إليهِ، ما تَختلفُ حقائِقُها؛ لأنَّ الحقائقَ لا تَتبدّلُ، فمنْ وقَفَ معَ هذِهِ الألفاظِ ومعانِيها وقالَ بعدَمِ علْمِ النسبةِ إلى الحقِّ فهوَ عالِمٌ مؤمنٌ، ومنْ نَسَبَها على وجهٍ منْ وجوهِ المصارِفِ الخارجةِ عنِ التجسيمِ، فلا هوَ مؤمنٌ ولا عالِمٌ، فلو أنصفَ هذا الناظِرُ في ذاتِ اللهِ ما نَظَرَ في ذاتِ اللهِ، وآمَنَ بمَا جاءَ منْ عندِ اللهِ؛ إذْ قدْ دلَّهُ الدّليلُ على صدْقِ المُخبِرِ، وهوَ الرسولُ. فهذا مَنَعَنِي في هذا البابِ منَ الكلامِ في ذاتِ اللهِ بِما تُعطيهِ أدلّةِ العقولِ، وعَدَلْنا إلى عِلْمِ ذلكَ بما جاءَ منَ المنقولِ معَ نفْيِ المماثلةِ في النسبةِ، والعِلْمُ الصحيحُ بحقيقةِ الصفةِ الواردةِ الموصوفِ بها ذاتًا مجهولةٌ. وقد نصحتُكَ، فاعلَمْ واثبتْ على ما جاءَتْكَ بهِ الشريعةُ تَسلَمْ، فهوَ أعلمُ بنفسِهِ وأصدقُ في قولِهِ. وما عرَّفنا إلا بما هوَ عليه، لا إلهَ إلا هوَ العزيزُ الحكيمُ، ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢][1].

• هؤلاءِ المجرمون أربعُ طوائفَ، كلُّها في النارِ لا يُخْرَجُونَ مِنْها، وهم:

---

١) الفتوحات المكية (٥ / ٥٩٢ -٥٩٣).

المتكبّرون على الله كفرعونَ وأمثالِه ممّن ادَّعى الربوبيةَ لنفسِه ونفاها عن الله، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨] وقال: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤] يريدُ أنّه ما في السماءِ إلهٌ غيري. وكذلك نمرودُ وغيره. والطائفةُ الثانيةُ المشركون، وهم ﴿ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الحجر: ٩٦] فقالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وقالوا ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: ٥]، والطائفةُ الثالثةُ المعطلةُ، وهمُ الذين نفَوا الإلهَ جملةً واحدةً، فلم يُثبتوا إلهًا للعالَمِ، ولا من العالَمِ. والطائفةُ الرابعةُ المنافقون وهم الذين أظهروا الإسلامَ من إحدى هؤلاءِ الطوائفِ الثلاثةِ للقهر الذي حكمَ عليهم، فخافوا على دمائِهم وأموالِهم وذرارِيهم، وهمْ في نفوسِهم على ما همْ عليه مِنِ اعتقادِ هؤلاءِ الطوائفِ الثلاثِ، فهؤلاءِ أربعةُ أصنافٍ هم الذينَ همْ أهلُ النارِ لا يخرجون منها من جنٍّ وإنسٍ[1].

• أمرَنا أنْ نغضبَ من أجله ولا نصبرَ إذا قدرْنا، وأمرَنا بالعفوِ والصفحِ فيمَا كانَ منْ أجلِنا، وهذا منْ أخلاقِ الله، ونحنُ

---

١) الفتوحات المكية (٢/ ١٧٧ - ١٧٨).

[مطالبونَ][1] بالتخلّقِ بأخلاقِ الله، فكيفَ أُخِذَ المشركونَ وهو بابٌ يرجعُ إليهِ وفي حقِّ نفسِه؟! فكيفَ انتصرَ لنفسِه والقواعدُ الإلهيّةُ مبنيّةٌ على غيرِ هذا؟! وقدْ جاءَ في الخبرِ أنّ اللهَ تعالى يقولُ لأهلِ الحشر: «يا عبادي، ما كانَ بيني وبينكمْ فقدْ غفرتُه لكمْ، فانظروا فيما بينكم، فإنّهُ لا يُجاوزني ظلمُ ظالمٍ»[2]. و يظهرُ في الشرك أنه فيما بينه وبينَهم فلماذا أخذَ به ولم يَغفرْه؟! فاعلمْ -وفّقكَ الله- أنّ الشركَ من التّباعاتِ وظلمِ الغير.. ولهذا أخذَ اللهُ به. فإنّ التّباعاتِ على ضروبٍ: في الدماء والأموال والأعراض.. والشركُ من باب تِباعات الأعراض، وهو من باب الفِرْيةِ، وأنْ يُقالَ في الشيء ما ليس فيه، وهو البهتان، وليس في الشرك من الأمور التي بين الله وبين العبد، وهو أكبرُ الكبائر. فإذا كانَ يومُ القيامة وحُشر

---

١) في المطبوع: مطلوبون.

٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وفي مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ٣٥٣): عن ثوبانَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «يُقبِلُ الجبَّارُ -تباركَ وتعالى- يومَ القيامةِ فيَثْنِي رجلَهُ على الجِسرِ فيقولُ: وعزَّتي وجلالي، لا يُجاوِزُنِي ظلمُ ظالمٍ، فينْصِفُ الخلقَ بعضَهُمْ مِنْ بعضٍ، حتى إنَّهُ لَينصفُ الشاةَ الجمَّاءَ مِنَ الشاةِ العَضْبَاءِ بِنطْحةٍ تَنطَحُها».

قال الهيثمي: رواه الطبراني، والبزار عن عبد الله بن إسحاق العطار، عن خالد بن حمزة، ولم أعرفهما، وبقية رجاله رجال الصحيح.

الناسُ في صعيدٍ واحدٍ وضجَّ المظلومون عند معاينةِ ما لا طاقةَ لهم بحمْلِهِ منَ الأهوالِ ضجّتِ الأصنافُ الذين اتُّخِذوا آلهةً منْ دونِ اللهِ منْ حجَرٍ وشجرٍ وحيوانٍ وإنسانٍ وكوكبٍ وروحانيٍّ. وقالوا: يا ربَّنا خذْ لَنا حقَّنا ممّنِ افترى علينا، ونَسبَ إلينا ما ليسَ فِينا، وقالَ إنّا آلهةٌ، فعبدونا ونحنُ لا نضرُّ ولا ننفعُ وليسَ لَنا منَ الأمرِ شيءٌ، فخذْ لَنا حقَّنا. وهنا يقعُ تفصيلٌ: فأما كلُّ مَن عُبدَ مِنْ دونِ اللهِ مِنْ حجرٍ وشجرٍ وإنسانٍ مُشْركٍ أشركَ نفسَه معَ اللهِ، وحيوانٍ وروحاني مشركٍ أيضًا فإنهم يَدخلونَ معَ الذين عَبدوهم في نارِ جهنمَ؛ ليكونَ أنكى لهمْ إذا عاينوهم، ومنْ كان ارتضى منهمْ ما يُنسبُ إليه كـفرعون وغيرِه فهو مشاركٌ لهم في العذاب[1].

• لا يلزمُ الراضي بالقضاءِ الرضى بالمقضيِّ؛ فالقضاءُ حكمُ اللهِ وهو الذي أمرَنا بالرضى به، والمقضيُّ المحكومُ به، فلا يلزمُنا الرضى به[2].

• يُعلَمُ قطعًا أنَّهُ لا فرقَ بيْنَ قولِنا: علمتُ الشيءَ وعرفتُه، وأنا

---

١) رسائل ابن عربي رسالة القسم الإلهي (ص٩٩-١٠٠).

٢) الفتوحات المكية (١/ ١٩١).

عالِمٌ بالشيءِ أو عارِفٌ [١]، ومعَ هذا وَرَدَ إطلاقُ اسمِ العالِمِ والعليمِ والعلّامِ عليه تعالى، وما وَرَدَ إطلاقُ الاسمِ العارفِ عليه، فما يلزمُ منَ الأمرِ الذي للهِ منهُ حكمٌ أنْ يُطلقَ عليهِ منهُ اسمٌ، فأسماؤُه من حيثُ إطلاقُها عليه موقوفةٌ على ورودِها منهُ، فلا يسمّى إلا بما سمّى بهِ نفسَه وإنْ عُلِمَ فيهِ مدلولُ ذلكَ الاسمِ فالتوقيفُ في الإطلاقِ أولى [٢].

١) هذا قولٌ لبعض أهل العلم، وفرّقَ بينهما آخرون.

٢) الفتوحات المكية (٥/ ٣٦٤ -٣٦٥).

التنزيهُ وتأويلُ بعض الأخبار

• أمّا تَنزيهُه فهوَ آكدُ عليك؛ مِن أجلِ المشبّهةِ والمجسّمةِ الظاهرينَ في هذا الزمان، فاعقدْ على قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وحسبُكَ هذا، فكلُّ وصفٍ يُناقضُ هذه الآيةَ مردودٌ، ولا تَزِدْ وتبرحْ من هذا المَوطنِ، ولذلكَ جاءَ في السُّنّةِ: «كانَ اللهُ ولا شيءَ مَعَهُ»، تعالى اللهُ عمّا يقولُ الظالمون علوًّا كبيرًا. وكلُّ آيةٍ وحديثٍ توهِمُ التشبيهَ ممّا يعطيهِ كلامُ العربِ أو كلامُ مَن أُنزلَ عليه شيءٌ من الوحيِ والتبليغِ فيجبُ عليكَ الإيمانُ به على حَدِّ ما يَعلمُه اللهُ تعالى وما أنزلَه، لا على ما تَتوهَّمُه، واصرِفْ علمَ ذلك إلى اللهِ [1].

• ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ﴾ [الزمر: ٦٧]، عَرَفْنا منْ وَضْعِ اللسانِ العربيِّ أنْ يقالَ: فلانٌ في قبضتي، يريدُ أنَّهُ تحتَ حكمِي وإنْ كانَ ليسَ في يَدي منهُ شيءٌ البتةَ، ولكن أمري فيهِ ماضٍ، وحكمِي عليهِ قاضٍ، مثلُ حكمِي على ما مَلكَتْهُ يدي حِسًّا وقبضَتْ عليهِ، وكذلكَ أقولُ: مالي في قبضتي، أيْ: في مِلكي، وأنّي متمكّنٌ في التصرّفِ فيهِ، أيْ: لا يَمنعُ نفسَهُ منّي، فإذا صرَفْتُهُ ففي وقتِ تصرّفي

---

١) مجموعة رسائل ابن عربي، رسالة كنه ما لا بد للمريد منه (١/ ٥٢٤).

فيهِ كانَ أمكنَ لي أنْ أقولَ: هو في قبضتي؛ لِتصرّفي فيهِ وإنْ كانَ عبيدِي همُ المتصرّفونَ فيهِ عنْ إذني. فلمَّا استحالَتِ الجارحةُ على الله تعالى عدلَ العقلُ إلى روحِ القبضةِ ومعناها وفائدِتِها وهوَ مِلْكُ ما قبضتُ عليهِ في الحالِ، وإنْ لمْ يكنْ لَها أعني: للقابض فيما قبضَ عليهِ شيءٌ، ولكنْ هوَ في مِلكِ القبضةِ قطعًا، فهكذا العالَمُ في قبضةِ الحقِّ تعالى[1].

• قال الله تعالى: ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، الباري تعالى لا يَجوزُ عليهِ النسيانُ، ولكنّه تعالى لمّا عذَّبَهمْ عذابَ الأبدِ ولمْ تَنَلْهمْ رحمتُه تعالى صارُوا كأنّهمْ مَنسيّونَ عندَه، وهوَ كأنَّهُ ناسٍ لَهمْ، أيْ: هذا فعلُ الناسي ومنْ لا يَتذَكَّرُ ما هم فيهِ منْ أليمِ العذابِ؛ وذلكَ لأنَّهمْ في حياتِهمُ الدنيا نَسُوا اللهَ فجازاهُمْ بفِعلِهمْ فَفِعْلُهمْ أَعادَهُ عَليهمْ لِلمناسبةِ، وقدْ يكونُ نَسيَهُم: أَخَّرَهمْ، ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، أي: أَخَّرُوا أمْرَ اللهِ فلمْ يَعملُوا بِهِ أَخَّرَهمُ اللهُ في النارِ حينَ أخرَجَ منها مَنْ أدْخَلَهُ فيها منْ غيرِهمْ، ويَقربُ منْ هذا البابِ اتّصافُ الحقِّ بالمَكرِ والاستهزاءِ والسخريةِ، قالَ تعالى: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]، وقالَ: ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وقالَ:

---

١) الفتوحات المكية (١/ ٣٣٣).

﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٥][١].

• الأخبارُ والآياتُ كثيرةٌ[٢]، منها صحيحٌ وسقيمٌ، وما منها خبرٌ إلا ولَهُ وجهٌ من وجوهِ التنزيهِ، وإنْ أردتَ أنْ يَقربَ ذلكَ عليكَ فاعمدْ إلى اللفظةِ التي تُوهِمُ التشبيهَ وخذْ فائدتَها وروحَها أو ما يكونُ عنها فاجعلْهُ في حقِّ الحقِّ تَفُزْ بدرجةِ التنزيهِ حينَ حازَ غيرُكَ دَرَكَ التشبيهِ، فهكذا فافعلْ، وطهِّرْ ثَوبَكَ[٣].

١) الفتوحات المكية (١/ ٣٣٥ -٣٣٦).

٢) أي: التي توهمُ التشبيهَ.

٣) الفتوحات المكية (١ ٣٣٨).

النبوّة والولاية

• ما توقّفْنا عنِ الكلامِ في مقامِ الرسولِ والنبيِّ صاحبِ الشرعِ إلا أنَّ شرطَ أهلِ الطريقِ فيما يُخبرونَ عنهُ من المقاماتِ والأحوالِ أنْ يكونَ عن ذوقٍ، وَلا ذوقَ لَنا ولا لِغيرِنا ولا لِمَنْ ليسَ بنبيٍّ صاحبِ شريعةٍ في نبوّةِ التشريعِ ولا في الرسالةِ، فكيفَ نتكلّمُ في مقامٍ لم نصِلْ إليهِ، وعلى حالٍ لمْ نَذُقْهُ لا أنا ولا غيري ممّن ليسَ بنبيٍّ ذي شريعةٍ منَ الله ولا رسولٍ؟! حرامٌ علينا الكلامُ فيه، فَما نتكلَّمُ إلا فيما لنا فيه ذوقٌ[1].

• إذا سمعتَ أحدًا منْ أهلِ الله تعالى يقولُ: إنَّ الولايةَ أعلى منَ النبوّةِ، أوْ يقولُ: إنَّ الوليَّ فوقَ النبيِّ والرسولِ فإنَّهُ يعني بذلكَ في شخصٍ واحدٍ، وهوَ أنَّ الرسولَ منْ حيثُ هوَ وليٌّ أتمُّ وأكملُ منْ حيثُ هوَ نبيٌّ ورسولٌ، فمرجِعُ النبيِّ والرسولِ المشرِّعِ الى الولايةِ والعلْمِ، ألا ترَى أنَّ اللهَ تعالى قدْ أمرَهُ ﷺ بطلَبِ الزيادةِ منَ العلْمِ لا منْ غيرِهِ منَ النبوّةِ والرسالةِ فقالَ تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وذلكَ أنَّكَ تعلمُ أنَّ الشرعَ تكليفٌ بأعمالٍ مخصوصةٍ ونهيٌ

---

١) الفتوحات المكية (٤/ ٣٢٧).

عنْ أعمالٍ مخصوصةٍ، ومحلُّها هذهِ الدارُ، فهيَ منقطعةٌ، والولايةُ ليستْ كذلكَ[١].

• حضرتُ في مجلسٍ فيه جماعةٌ من العارفينَ فسألَ بعضُهم بعضًا: مِنْ أيِّ مقامٍ سألَ موسى الرؤيةَ؟ فقالَ له الآخرُ: من مقامِ الشوقِ، فقلتُ له: لا تَفعلْ؛ أصلُ الطريقِ أنَّ نهاياتِ الأولياءِ بداياتُ الأنبياءِ، فلا ذَوْقَ لِلوليِّ في حالٍ منْ أحوالِ أنبياءِ الشرائعِ، فلا ذَوْقَ لَهمْ فيهِ، وَمِنْ أُصولِنا أنّا لا نَتكلَّمُ إلا عَن ذوقٍ، ونحنُ لَسنا بِرسلٍ ولا أنبياءِ شريعةٍ، فبأيِّ شيءٍ نَعرِفُ مِنْ أيِّ مقامٍ سألَ موسى الرؤيةَ ربَّهُ؟! نعم، لَوْ سَأَلَها وَلِيٌّ أمكنَكَ الجوابُ، فإنَّ في الإمكانِ أنْ يكونَ لكَ ذلكَ الذوقُ، وقدْ عَلمْنا من بابِ الذّوْقِ أنَّ ذَوقَ مقامِ الرسلِ لِغيرِ الرسلِ مَمنوعٌ، فالْتَحَقَ وجودُهُ بالمُحالِ العَقليِّ؛ لأنَّ الذاتَ لا تَقتضي إلا هذا الترتيبَ الخاصَّ[٢].

• النبيُّ ذو عينٍ مفتوحةٍ لمشاهدةِ النبوّةِ، والوليُّ ذو عينٍ مفتوحةٍ لمشاهدةِ الولايةِ، ذو عينٍ عمياءَ لمشاهدةِ النبوّةِ فإنّها من خلفِهِ فهوَ فيها كحافظِ القرآنِ؛ لأنّهُ «مَنْ حفظَ القرآنَ فقدْ

---

١) رسائل ابن عربي (كتاب اليقين وكتاب المعرفة) كتاب المعرفة (ص ١٩٩).

٢) الفتوحات المكية (٤ / ٤١٢).

أُدرجتِ النبوّةُ بينَ جنبيهِ»[١]، ولم يقلْ: في صدرِهِ ولا بينَ عينيهِ ولا في قلبِه؛ فإنَّ تلكَ رتبةُ النبيِّ لا رتبةُ الوليِّ، وأينَ الاكتسابُ منَ التخصيصِ؟! فالنبوةُ اختصاصٌ منَ اللهِ يَختصُّ بها مَن يَشاءُ من عبادِهِ، وقد أُغلِقَ ذلكَ البابُ وخُتِمَ برسولِ اللهِ محمدٍ ﷺ، والولايةُ مكتسَبةٌ إلى يومِ القيامة[٢].

• اعلمْ أنَّ اللهَ تعالى لمّا خلقَ الخلقَ خلقَهمْ أصنافًا، وجعلَ في كلِّ صنفٍ خيارًا، واختارَ منَ الخيارِ خواصَّ وهمُ المؤمنونَ، واختارَ منَ المؤمنينَ خواصَّ وهمُ الأولياءُ، واختارَ منْ هؤلاءِ الخواصَّ خلاصةً وهمُ الأنبياءُ، واختارَ منَ الخلاصةِ نقاوةً وهمْ أنبياءُ الشرائعِ المقصورةِ عليهمْ، واختارَ منَ النقاوةِ شرذمةً قليلةً همْ صفاءُ النقاوَةِ المرَوَّقَةِ وهمُ الرسلُ أجمعُهمْ، واصطفى واحدًا من خلقِهِ هوَ منهمْ وليسَ منهمْ، هوَ المهيمنُ على جميعِ الخلائِقِ، جعلَهُ عَمَدًا أقامَ

---

١) المستدرك على الصحيحين للحاكم (١/ ٧٣٨)، برقم (٢٠٢٨): عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله ﷺ، قال: «من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه، لا ينبغي لصاحب القرآن أن يحد مع من حد، ولا يجهل مع من جهل وفي جوفه كلام الله تعالى». قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

٢) الفتوحات المكية (٧/ ٣٧٦).

عليهِ قبّةَ الوجودِ، جعلَهُ أعلى المظاهِرِ وأسناها صحَّ لَهُ المقامُ تَعيينًا وتَعريفًا، فَعَلِمَهُ قبلَ وجودِ طينةِ البشرِ [١]، وهوَ مُحَمَّدٌ رسولُ الله ﷺ، لا يُكاثَرُ [٢] ولا يُقاوَمُ، هوَ السيدُ، ومَنْ سِواهُ سَوَقَةٌ [٣] قالَ عنْ نفسِهِ: «أَنا سيّدُ الناسِ ولا فخْرَ» [٤] بالراءِ والزايِ روايتانِ [٥]، أيْ: أقولُها غيرَ متبجِّحٍ بِباطلٍ، أيْ: أقولُها ولا أقصِدُ الافتخارَ على مَنْ بَقِيَ منَ العالَمِ، فإنّي وإنْ كنتُ أعلى المظاهرِ الإنسانيّةِ فإنَا أشدُّ الخلْقِ تَحقّقًا بعَينِي، فلَيسَ الرجلُ مَنْ تَحقّقَ بِربِّهِ، وإنّما الرجلُ مَنْ تَحقّقَ بعينِهِ؛ لمّا علِمَ أنَّ اللهَ أوجدَهُ لَهُ تعالى لا لِنفسِهِ، وما فازَ بهذِهِ الدرجةِ ذوقًا إلا مُحَمَّدٌ ﷺ، وكشْفًا إلا الرسلُ وراسِخُو علماءِ هذِهِ الأمةِ المحمّديّةِ،

---

١) مسند أحمد (٢٧/ ١٧٦)، برقم (١٦٦٢٣): عن عبد الله بن شقيق، عن رجل قال: قلت: يا رسول الله، متى جعلت نبيًا؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد».

٢) يكاثر: يُغالَب. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢/ ٨٠٣).

٣) السوقةُ: غيرُ المَلِكِ. ينظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٤/ ١٤٩٩).

٤) مسند أحمد (١٩/ ٤٥١)، برقم (١٢٤٦٩): «إني لأول الناس تنشق الأرض عن جمجمتي يوم القيامة، ولا فخر، وأعطى لواء الحمد، ولا فخر، وأنا سيد الناس يوم القيامة، ولا فخر، وأنا أول من يدخل الجنة يوم القيامة، ولا فخر».

٥) لم أقف على من ذكرَ رواية (فخز) بالزاي، سوى العجلوني ناسبًا إياها للفتوحات المكية!. ينظر كشف الخفاء (١/ ٢٣).

ومَنْ سواهمْ فلا قَدَمَ لهُمْ في هذا الأمرِ[١].

• قالَ عنْ حديثِ: «... فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ، حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ»[٢]:

لمّا علِمَ ﷺ منَ الكرمِ الإلهيِّ أنَّهُ مَنْ دعا لأخيهِ المؤمنِ بظهرِ الغيبِ قالَ لَهُ المَلَكُ: «ولكَ بِمِثْلِ ذلكَ»[٣] فأحبَّ ﷺ أنْ تَنالَهُمْ رقائِقُ منْ هذا المقامِ الأعلى، فاعلَمْ ذلكَ[٤].

---

١) الفتوحات المكية (٤/ ٤٧١).

٢) مسند أحمد (١١/ ١٢٨)، برقم (٦٥٦٨).

٣) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٩٤)، برقم (٢٧٣٢): قال رسولُ الله ﷺ: «ما مِنْ عبدٍ مسلِمٍ يدعو لِأخيه بِظهرِ الغَيبِ، إلا قال الملَكُ: لكَ بِمثْلٍ».

٤) الانتصار لأشرف الأذكار (ص ٥١).

التزام الواعظ بالكتاب والسنة، وعدم إنشاده الشعر الذي لم يقصد ناظمُه فيه اللهَ ورسولَه ﷺ

• لا يَنبغي لِواعظٍ أنْ يَخرجَ في وعظِهِ عن الكتابِ أو السنّةِ، [و][1] لا يدخل في هذهِ الطوامِّ، فينقل عن اليهودِ والنصارى والمفسرينَ الذين يَنقلونَ في كتبِ تفاسيرِهمْ ما لا يَليقُ بجنابِ اللهِ ولا بمنزلةِ رسُلِ اللهِ عليهمُ السلامُ، كما رُوِّينا عن منصورِ بنِ عمّارٍ أنَّه رآهُ إنسانٌ بعدَ موتِهِ وكانَ من الواعظينَ فقالَ له يا منصور: ما لقيتَ؟ فقالَ: أوقفني الحقُّ بينَ يديهِ وقالَ لي: يا منصور بِمَ تقرّبتَ إليَّ؟! فقلتُ له: كنتُ أعظُ الناسَ وأذكِّرُهم، فقال: يا منصورُ، بِشِعْرِ زينبَ وسعادٍ تطلبُ القربَ منّي وتَعظُ عبادي؟! وذَكَرَ لِيَ أشعارًا كنتُ أُنشِدُ بِها على المنبرِ ممّا قالَه أهلُ المحبةِ في محبوباتِهم، فشدَّدَ عليَّ، ثمَّ قالَ لي: إنَّ بعضَ أوليائي حضَرَ مجلسَكَ، فقلتَ في ذلكَ المجلسِ: اللهمَّ اغفرْ لِأقسانا قلبًا وأجمِدِنا عينًا، فقالَ ذلكَ الوليُّ الذي حضَرَ عندكَ: اللهمَّ اغفرْ لِمَنْ هذهِ صفتُهُ، فاطلعتُ فلمْ أرَ أجمَدَ عينًا ولا أقسى قلبًا منكَ، فاستجبتُ فيكَ دعاءَ وليِّي فغفرتُ لكَ، فلا يَنبغي أنْ يُنشدَ واعظٌ في مجلسِهِ إلا الشعرَ الذي قَصَدَ فيه قائلُهُ ذِكْرَ اللهِ

---

١) زيادة مني.

بلِسانِ التغزّلِ أو بغيرِه، فإنَّهُ منَ الكلامِ الذي أُهِلَّ لله، فهوَ حلالٌ قولًا وسماعًا، فإنّهُ ممّا ذُكِرَ اسمُ اللهِ عليهِ، ولا يَنبغِي أنْ يُنشِدَ في حقِّ اللهِ شِعرًا قَصَدَ بهِ قائِلُه في أوّلِ وَضعِهِ غَيرَ اللهِ، نَسيبًا كانَ أو مَديحًا، فإنّهُ بِمنزلةِ مَنْ يَتوضّأُ بالنجاسةِ قربةً إلى اللهِ، فإنَّ القَولَ في المُحدَثِ حَدَثٌ بلا شَكّ، وقدْ نَبَّهَ اللهُ في كتابِه على هذه المنزلةِ بقولِهِ: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩]، وقولِه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾[المائدة: ١٢١] وقال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [المائدة: ٣]، والشعرُ في غيرِ اللهِ هوَ ممّا أُهِلَّ لغيرِ اللهِ بِهِ، فإنّهُ للنيةِ أثرٌ في الأشياءِ، واللهُ يقولُ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[البينة: ٥] والإخلاصُ النيّةُ، وهذا الشاعرُ ما نوى في شعرِهِ إلا التغزُّلَ في محبوبِهِ أو المديحَ فيمنْ ليسَ لهُ بأهلٍ لِما شَهِدَ بِهِ فيهِ[1].

١) الفتوحات المكية (١٠/ ١١٣ -١١٤).

علم الكلام

• علماءُ هذا العلْمِ رضيَ الله عنهم ما وضعوهُ وصنَّفوا فيه ما صنفوهُ لِيُثبتوا في أنفسِهِمُ العلْمَ بالله، وإنَّما وَضعوهُ إرداعًا لِلخصومِ الذين جحدُوا الإلهَ أو الصفاتِ أو بعضَ الصفاتِ أو الرسالةَ أو رسالةَ مُحَمَّدٍ ﷺ خاصَّةً أو حدوثَ العالَمِ أو الإعادةَ إلى هذِهِ الأجسامِ بعدَ الموتِ أو الحشْرَ و النشْرَ وما يتعلَّقُ بهذا الصنفِ وكانوا كافرينَ بالقرآنِ مُكذِّبينَ بِهِ جاحدينَ لهُ، فطلبَ علماءُ الكلامِ إقامةَ الأدلّةِ عليهِمْ على الطريقةِ التي زعمُوا أنّها أدّتهُمْ[1] إلى إبطالِ ما ادّعَيْنا صحَّتَهُ خاصّةً، حتى لا يُشوِّشُوا على العوامِّ عقائدَهمْ، فمهما بَرَزَ في ميدانِ المجادَلَةِ بِدْعِيٌّ بَرَزَ لَهُ أشعَرِيٌّ أو مَنْ كانَ منْ أصحابِ علْمِ النظَر، ولمْ يَقتصِروا على السيفِ رَغبةً منهمْ وحرْصًا على أنْ يَردُّوا واحدًا إلى الإيمانِ والانتظامِ في سلْكِ أمّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ بالبرهان؛ إذ الذي كانَ يأتي بالأمرِ المُعْجِزِ على صِدْقِ دعواهُ قدْ فُقِدَ وهوَ الرسولُ عليهِ السلام، فالبرهانُ عندَهمْ قائمٌ مقامَ تلكَ المعجزةِ في حقِّ مَنْ عَرَفَ، فإنَّ الراجِعَ بالبرهانِ أصحُّ إسلامًا منَ الراجِعِ بالسيف، فإنَّ الخوفَ

---

١) الضمائر في (زعموا) و(أدتهم) تعودُ على الخصوم الجاحدين.

يُمكنُ أنْ يَحمِلَهُ على النفاقِ، وصاحِبُ البرهانِ ليسَ كذلكَ. فلهذا رضي الله عنهم وضَعُوا علْمَ الجَوْهَرِ والعَرَضِ لا غيرُ، ويَكفِي في المصْرِ منهُ واحدٌ، فإذا كانَ الشخصُ مُؤْمِنًا بالقرآنِ أنّهُ كلامُ الله قاطعًا بِهِ فلْيأخذْ عقيدَتَهُ منهُ من غيرِ تأويلٍ و لا مَيل، فنَزَّهُ سبحانَهُ نفسَهُ أنْ يُشبِهَهُ شيءٌ منَ المخلوقاتِ أو يُشبِهَ شيئًا بقولِه تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، و﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات: ١٨٠][1].

١) الفتوحات المكية (١/ ١٥٧).

التصوف

• إنَّ الطرقَ إلى الله تعالى على عددِ أنفاسِ الخلائقِ، يعني: أنّ كلَّ نفَسٍ طريقٌ إلى الله وهو صحيحٌ، فعلى قدرِ ما يفوتُكَ منَ العلمِ بالأنفاسِ ومراعاتِها يفوتُكَ من العلمِ بالطريقِ، وبقدرِ ما يفوتُكَ من العلمِ بالطرقِ يفوتُكَ من غاياتِها، وغايةُ كلِّ طريقٍ هو الله[1].

• إنَّ الشيوخَ على حالينِ شيوخٌ عارفونَ بالكتابِ والسنّةِ قائلونَ بها في ظواهِرِهم، متحقِّقونَ بها في سرائِرِهم، يراعونَ حدودَ الله، ويُوفونَ بعهدِ الله، قائمونَ بمراسِمِ الشريعة، لا يَتأوّلونَ في الورَعِ، آخذِونَ بالاحتياطِ، مُجانِبونَ لأهلِ التخليطِ، مُشفقونَ على الأمّةِ لا يَمقتونَ أحدًا من العصاةِ، يُحبّونَ ما أحبَّ اللهُ، ويبغضونَ ما أبغضَ اللهُ بِبُغضِ الله، لا تأخذُهم في الله لومةُ لائِمٍ، يَأمرُونَ بالمَعروفِ ويَنهَونَ عنِ المُنكَرِ المُجْمَعِ عليهِ يُسارِعُونَ في الخَيراتِ، ويَعفُونَ عنِ النّاسِ، يُوَقِّرونَ الكبيرَ، ويَرحمونَ الصغيرَ، ويُميطونَ الأذى عن طريقِ الله وطريقِ الناسِ، يَدعونَ في الخير بالأوْجبِ فالأوجب، يؤدّونَ الحقوقَ إلى أهلِها، يبرّونَ إخوانَهم بلِ الناسَ أجمَعَهم، لا

---

١) الفتوحات المكية (٥ / ٥٨٦).

يقتصرونَ بالجودِ على معارِفِهم، جودُهم مطلقٌ، الكبيرُ لهمْ أبٌ، والمِثْلُ لهم أخٌ وكفْؤٌ، والصغيرُ لهمُ ابنٌ، وجميعُ الخلقِ لهم عائلةٌ، يتفقّدونَ حوائجَهم، إنْ أطاعُوا رَأَوا الحقَّ مُوَفِّقَهم في طاعَتِهم إيَّاه، وإنْ عَصوا سارَعوا بالتوبةِ والحياءِ منَ الله، ولامُوا نفوسَهم على ما صدَرَ منهم، ولا يَهربونَ في معاصِيهم إلى القضاءِ والقَدَرِ؛ فإنّهُ سوءُ أدبٍ معَ الله، هَيِّنونَ لَيِّنون، ذَوُو مَقَةٍ[1]، رُحَماءُ بَينَهمْ تَراهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً، في نظرِهمْ رحمةٌ لعبادِ الله كأنّهمْ يَبكونَ، الهَمُّ عليهمْ أغلبُ من الفَرَحِ؛ لِمَا يُعطيهِ موطنُ التكليف، فمِثْلُ هؤلاءِ همُ الذينَ يُقتدَى بِهِمْ، ويَجبُ احترامُهمْ، وهمُ الذينَ إذا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ. وطائفةٌ أخرى منَ الشيوخِ أصحابُ أحوالٍ، عندَهمْ تَبديدٌ، ليسَ لهمْ في الظاهِرِ ذلكَ التحفُّظُ، تُسَلَّمُ لهمْ أحوالُهمْ، ولا يُصحَبُون، ولو ظَهَرَ عليهِمْ من خَرقِ العوائدِ ما عسى أنْ يَظهرَ لا يُعَوَّلُ عليهِ معَ وجودِ سوءِ أدبٍ معَ الشَّرْعِ، فإنّهُ لا طريقَ لنا إلى الله إلا ما شَرَعَهُ، فمن قالَ بأنّ ثَمَّ طريقًا إلى الله خلافَ ما شَرَعَ فقولُهُ زورٌ، فلا يُقتدَى بشيخٍ لا أدَبَ لهُ وإنْ كانَ صادِقًا في حالِهِ، ولكنْ يُحتَرَمُ[2].

---

١) المَقَة: المحبة. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٤/ ١٥٦٨).

٢) الفتوحات المكية (٦ / ٧٦ -٧٧).

• عليكَ بأداءِ الأَوجبِ مِنْ حقِّ اللهِ وهوَ أنْ لا تُشركَ بِهِ شيئًا مِنَ الشرْكِ الخَفيِّ الذي هو الاعتمادُ على الأسبابِ الموضوعةِ، والركونُ إليها بالقلبِ، والطمأنينةُ بها وهيَ سكونُ القلبِ إليها وعندَها، فإنَّ ذلكَ مِنْ أعظمِ رَزيّةٍ دينيةٍ في المؤمنِ، وهو قولُه -واللهُ أعلم- من باب الإشارة ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف:١٠٦]، يعني -واللهُ أعلم- به هذا الشركَ الخفيَّ الذي يكونُ مَعَهُ الإيمانُ بوجودِ اللهِ، والنقصُ في الإيمانِ بتوحيدِ اللهِ في الأفعالِ لا في الألوهةِ، فإنَّ ذلكَ هوَ الشركُ الجليُّ الذي يُناقضُ الإيمانَ بتوحيدِ اللهِ في ألوهتِه لا الإيمانَ بوجودِ اللهِ، وَرَدَ في الحديثِ الصحيحِ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ أنَّه قال: «أتدرونَ ما حقُّ اللهِ على العبادِ؟ أنْ يَعبدوهُ لا يُشرِكوا بهِ شَيئًا»[1] فأتى بلفظةِ شيء وشيء نكرةٌ، فدخلَ فيهِ الشركُ

---

١) صحيح البخاري (٧/ ١٧٠)، برقم (٥٩٦٧): عن معاذ بن جبل ﷺ قال: بينا أنا رديف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا أخرة الرحل، فقال: «يا معاذ بن جبل» قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: هل تدري ما حق الله على عباده؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على عباده أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئًا، ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ بن جبل، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، فقال: هل تدري ما حق العباد على

الجليُّ والخفيُّ، ثمَّ قال: «أتدرونَ ما حقُّهمْ على الله إذا فعلوا ذلك؟ أنْ لا يعذِّبَهم» فاجعلْ بالَكَ مِنْ قولِه: أنْ لا يعذِّبَهم فإنَّهم إذا لم يُشركوا بالله شيئًا لمْ يَتعلَّقْ لهمْ خاطرٌ إلا بالله؛ إذْ لم يكنْ لَهمْ تَوجُّهٌ إلا إلى الله، وإذا أَشرَكوا بالله الشركَ الناقضَ للإسلامِ أو الشركَ الخفيَّ الذي هو النظرُ إلى الأسبابِ المعتادةِ فإنَّ اللهَ قد عَذَّبَهمْ بالاعتمادِ عليها؛ لأنَّها مُعَرَّضَةٌ للفقْدِ، فَفي حالِ وجودِها يَتعذّبونَ بِتَوَهُّمِ فَقدِها وبِما يَنقصُ منها، وإذا فَقدُوها تَعذَّبُوا بِفقدِها، فهمْ مُعذَّبُونَ على كلِّ حالٍ في وجودِ الأسبابِ وفقدِها، وإذا لم يُشركوا بالله شيئًا منَ الأسبابِ استراحوا ولمْ يُبالوا بفقدِها ولا بوجودِها، فإنَّ الذي اعتمَدُوا عليهِ -وهو اللهُ- قادرٌ على إتيانِ الأمورِ مِنْ حيثُ لا يَحتسبون، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢-٣][1].

• فإن قلتَ: وما التصوفُ؟ قلنا: الوقوفُ معَ الآدابِ الشرعيةِ ظاهرًا وباطنًا، وهيَ مكارمُ الأخلاق، وهوَ أنْ تعاملَ كلَّ شيءٍ بِما يَليقُ بهِ ممّا يَحمدُهُ منكَ، ولا تَقْدِرُ على هذا حتى تكونَ منْ أهلْ

الله إذا فعلوه؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق العباد على الله أن لا يعذبهم.

١) الفتوحات المكية (١٢/ ٤٤٩).

اليَقَظَةِ، فإنْ قلتَ: وما اليقظةُ حتى أكون من أهلِها؟ قلنا: اليقظةُ الفهْمُ عن اللهِ في زَجْرِهِ[١].

• منْ عَبَدَ اللهَ بالتكلُّفِ فَمَا هوَ منْ أهلِ التصوّفِ[٢].

• رُويَ عنِ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلَ المتّبعِ المقتدَى سيّدِ وقتِه في تركِهِ أكْلَ البِطّيخِ؛ لأنَّهُ ما ثبَتَ عندَهُ كيفَ كانَ يأكلُهُ رسولُ اللهِ ﷺ[٣]، فدلَّ ذلكَ على قوّةِ اتباعِهِ كيفيّاتِ أحوالِ الرسولِ ﷺ في حركاتِهِ وسكَناتِهِ وجميعِ أفعالِهِ وأحوالِهِ، وإنّما عُرِفَ هذا منهُ لأنَّهُ كانَ في مقامِ الوراثةِ في التبليغِ والإرشادِ بالقولِ والعملِ والحالِ؛ لأنَّ ذلكَ أمكنُ في نفسِ السامعِ فهوَ وأمثالُهُ حفّاظُ الشريعةِ على هذهِ الأمةِ[٤].

---

١) الفتوحات المكية (٥/ ٥٠).

٢) الفتوحات المكية (١٢/ ١٢٦).

٣) ممن ذكر هذي الحكاية الغِبريني في عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية (ص: ٢٤)، لكن ذكر ابن أبي حاتم أنه كان يأكله، فقد قال: حدثنا عبد الرحمن نا صالح قال: ما رأيت أبي قط اشترى رمانا ولا سفرجلًا ولا شيئًا من الفاكهة إلا أن يكون يشتري بطيخة فيأكلها بخبز، أو عنبًا أو تمرًا، فأما غير ذلك فما رأيته قط اشتراه. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ٣٠٤).

والله أعلم بحقيقة الحال.

٤) الفتوحات المكية (٢ / ٣٣).

• التصوُّفُ بغيرِ خُلُقٍ لا يُعوَّلُ عليهِ[١].

• كلُّ عملٍ وتركٍ لا يكونُ الشخصُ فيهِ تابعًا فلا يُعوّلُ عليهِ وإنْ كانَ أشقَّ منْ عملِ التبعيَّةِ. قالَ الشبْلي في هذا المَقامِ: كلُّ عمَلٍ لا يَكونُ عنْ أثَرٍ فهوَ هوَى النفسِ[٢].

• الطريقُ يَقتضِي أنَّ الشيخَ لا يَنسى أهلَ زمانِهِ، فكيفَ [يَنسَى][٣] مريدَهُ المختصَّ بخدمَتِهِ؟! فإنَّهُ منْ فتوَّةِ أهلِ هذا الطريقِ ومعرفتِهِمْ بالنفوسِ أنَّهُمْ إذا كانَ يومُ القيامةِ وظَهَر ما لَهُمْ من الجاهِ عندَ اللهِ خافَ منهُمْ مَنْ آذاهُم هنا في الدنْيا، فأوّلُ ما يَشفعونَ يومَ القيامةِ فيمنْ آذاهُمْ قَبلَ المؤاخَذَةِ، وهذا نصُّ أبي يزيدَ البِسطاميِّ وهوَ مذهبُنا، فإنَّ الذينَ أحسنوا إليهِمْ يَكفِيهِمْ عَينُ إحسانِهِمْ، فهُمْ بإحسانِهِمْ شُفعاءُ أنفسِهِمْ عندَ اللهِ بِما قَدَّمُوهُ منَ الخيرِ في حقِّ هذا الوَلِيِّ و﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الرحمن: ٦٠]، ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: ٤٠][٤].

---

١) رسائل ابن عربي رسالة ما لا يعول عليه (ص١٩٨).

٢) رسائل ابن عربي رسالة ما لا يعول عليه (ص١٩٥).

٣) زيادة مني.

٤) الفتوحات المكية (٣ / ٤٥٢).

• لا يَنالُ غايةَ مُناه مَنْ في قلبِهِ شيءٌ سِواه[١].

• متى ما تغذّتِ النفسُ كسْبَ يدِها فإنها لا تجدُ حلاوةَ الجودِ والوَهْبِ، وتكونُ ممّنْ أكَلَ منْ تحتِ رِجْلِهِ، والرجلُ مَنْ أكَلَ مِنْ فوقِه[٢].

• لقدْ دَخَلْتُ يومًا بقرطبةَ على قاضِيها أبي الوليدِ بنِ رُشدٍ، وكانَ يَرغبُ في لِقائي لِمَا سَمعَ وبلَغَهُ ما فتحَ اللهُ بهِ عليَّ في خَلْوتي، فكانَ يُظهرُ التعجّبَ ممّا سَمِعَ، فبعَثَني والدِي إليهِ في حاجةٍ قصدًا منهُ حتّى يَجتمِعَ بِي، فإنّهُ كانَ منْ أصدقائِهِ، وأنَا صبيٌّ ما بَقَلَ[٣] وَجهي، ولا طرَّ شارِبي، فعندَمَا دخلتُ عليهِ قامَ منْ مَكانِهِ إِليَّ مَحبَّةً وإعظامًا، فَعانقَنِي وقالَ لِي: نَعَمْ؟ قلتُ لَهُ: نَعَمْ! فزَادَ فَرَحُهُ بِي؛ لِفهمِي عنهُ، ثُمَّ إنّي استشعرتُ بِمَا أفرَحَهُ منْ ذلكَ فقلتُ لَهُ: لَا، فانقَبَضَ وَتغيَّرَ لَونُهُ وشَكَّ فيما عِندَهُ، وقالَ: كيفَ وجدتُمُ الأمرَ في الكشفِ والفيضِ الإلهيِّ؟، هلْ هوَ ما أعطاهُ لَنا النظَرُ؟ قلتُ لهُ: نَعَمْ، لا. وَبينَ نعَمْ ولا تطيرُ الأرواحُ من موادِّها والأعناقُ منْ أجسادِها، فاصفَرَّ لَونُهُ،

---

١) مجموعة رسائل ابن عربي، الحكمة الحاتمية (١/ ٥٧٨).

٢) رسائل ابن عربي، رسالة إلى الإمام الرازي (ص١٨٤).

٣) أي: نبَتَ. العين (٥/ ١٧٠).

وأخَذَهُ الأفْكَلُ [١] وَقَعَدَ يُحَوْقِلُ، وَعَرَفَ ما أشرْتُ بهِ إليهِ [٢].

• ما كلُّ منْ فَهِمَ الكلامَ فهِمَ عن المتكلِّمِ ما أرادَ بهِ على التعيين إمّا كلّ الوجوهِ أو بعضها، فقدْ نبّهتُكَ على أمرٍ إذا تعمَّلْتَ في تحصيلِه من اللهِ حصلتَ على الخير الكثير، وأُوتيتَ الحكمةَ. جعلنا اللهُ ممّن رُزقَ الفهمَ عنِ الله [٣].

• قال: «للصائِمِ فَرحتانِ فرحةٌ عندَ فِطرِه» وتلكَ الفرحةُ لروحِهِ الحيوانيِّ لا غيرُ، «وفرحةٌ عندَ لقاءِ ربِّهِ» [٤] وتلك الفرحةُ لنفْسِهِ الناطقةِ [أي:] [٥] لَطيفته الربانيّة [٦].

---

١) أي: الرعدة. العين (٥/ ٣٧٤).

٢) الفتوحات المكية (١/ ٤٧٧).

٣) الفتوحات المكية (٨/ ٩٩).

٤) صحيح البخاري (٩/ ١٤٣)، برقم (٧٤٩٢): عن النبي ﷺ، قال: يقول الله عز وجل: «الصوم لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي، والصوم جنة، وللصائم فرحتان: فرحة حين يفطر، وفرحة حين يلقى ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك».

٥) هذي ساقطة من طبعة المنصوب.

٦) الفتوحات المكية (٢ / ٦١).

• اعلَمْ -أَيَّدَكَ اللهُ- أنَّ الصومَ هو الإمساكُ والرفْعةُ، يقالُ: صامَ النهارُ إذا ارتَفَعَ، قال امرؤ القيس:

.... إذا صامَ النهارُ وهجّرَا [1]

أي: ارتفع.

ولمّا ارتفعَ الصومُ عن سائرِ العباداتِ كلِّها في الدرجةِ سُمِّيَ صومًا، ورفَعَهُ -سبحانَه- بنفْيِ المِثْلِيةِ عنهُ في العباداتِ [2] [3].

---

١) وتمام البيت:

فدَعْ ذا وَسَلِّ الهمَّ عنكَ بجَسْرَة ذَمُــولٍ إذا صَــامَ النَّهارُ وَهَـجّـرَا

من قصيدة له، مطلعها:

سَمَا لَكَ شوْقٌ بَعدَما كان أقصَرَا وَحَلّتْ سُلَيمَى بَطنَ فَوٍّ فعَرْعَرَا

ديوان امرئ القيس (ص: ٩٥).

٢) الفتوحات المكية (٣/ ٤١٣).

٣) سنن النسائي (٤/ ١٦٥)، برقم (٢٢٢٠): عن أبي أمامة، قال: أتيت رسول الله ﷺ، فقلت: مرني بأمر آخذه عنك، قال: قال: «عليكَ بالصَّومِ فإنّهُ لا مِثْلَ لهُ».

الشريعة والحقيقة

• اعلَمْ أنَّ اللهَ خاطَبَ الإنسانَ بجملِتِهِ، وما خَصَّ ظاهِرَهُ من باطِنِه، ولا باطِنَهُ من ظاهِرِهِ، فتَوفّرَتْ دواعِي الناسِ أكثرِهِمْ إلى معرفةِ أحكامِ الشرعِ في ظواهِرِهِمْ، وغفَلُوا عن الأحكامِ المشروعةِ في بواطِنِهِمْ إلا القليلَ، وهمْ أهلُ طريقِ الله، فإنّهمْ بحثُوا في ذلكَ ظاهِرًا وباطِنًا، فَما مِن حكمٍ قرَّرُوهُ شَرعًا في ظواهِرِهمْ إلا وَرَأَوا أنَّ ذلكَ الحكْمَ لهُ نسبةٌ إلى بواطِنِهِمْ، أخذُوا على ذلكَ جميعَ أحكامِ الشرائِعِ، فعَبدُوا اللهَ بما شَرَعَ لهمْ ظاهِرًا وباطِنًا، فَفازُوا حينَ خَسِرَ الأكثرُون. وتبقّتْ طائفةٌ ثالثةٌ ضَلّتْ وأَضَلَّتْ، فَأَخذَتْ الأحكامَ الشرعيّةَ وصَرَفَتْها في بواطِنِهِمْ، وَما تَركَتْ مِن حُكْمِ الشريعةِ في الظواهِرِ شَيئًا تُسمّى الباطنية، وهمْ في ذلكَ على مذاهبَ مختلفةٍ، وقد ذَكرَ الإمامُ أبو حامدٍ في كتابِ (المستظهري[1]) لهُ في الردِّ عليهِمْ شيئًا من مذاهبِهِم، وبيَّنَ خطأَهمْ فيها، والسعادةُ إنّما هيَ معَ أهلِ الظاهر، وهمْ في الطرَفِ والنقيضِ من أهلِ الباطِنِ، والسعادةُ كلُّ السعادةِ معَ الطائفةِ التي جمعَتْ بينَ الظاهِرِ والباطِنِ، وهمُ العلماءُ

١) كتاب المستظهري أو فضائح الباطنية للإمام أبي حامد الغزالي. وهو مطبوع.

باللهِ وبأحكامِه[١].

• انسدّتْ أبوابُ الأوامِرِ الإلهيةِ والنَّواهِي، فَمَنِ ادّعاها بعدَ مُحَمَّدٍ ﷺ فهوَ مدّعٍ شريعةً[٢].

• مَنِ ادّعى حقيقةً من غيرِ شريعةٍ فدعواه لا تصحُّ، ولهذا قال الجنيد: عِلمُنا هذا -يعني: الحقائقُ التي يجيءُ بها أهلُ الله- مقيّدٌ بالكتابِ والسنّةِ، أي: أنّها لا تحصلُ إلا لِمَنْ عملَ بكتابِ اللهِ وسنَّةِ رسولِه، وذلكَ هو الشريعةُ، وقال: «إنّ اللهَ أدّبَني فحسَّنَ أدبي»[٣] وما هوَ إلا ما شَرَعَ لَه، فَمنْ تشرَّعَ تَأدَّبَ، ومَن تأدَّبَ وَصَلَ[٤].

• طائفتُنا[٥] لا تَرمِي من الشريعةِ شيئًا، بل تَترُكُ نظرَها وحكْمَ

---

١) الفتوحات المكية (٢/ ٢٦٩).

٢) الفتوحات المكية (٧/ ٤٤٨).

٣) أدَّبني ربّي فأحْسنَ تَأدِيبي.

أبو سعيد بن السمعاني في أدب الإملاء من حديث ابن مسعود، والعسكري في الأمثال، وابن الجوزي في الأحاديث الواهية من حديث عليّ وقال لا يصح، وصححه أبو الفضل بن ناصر. الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (ص: ٤٥).

٤) الفتوحات المكية (١٢/ ٣٣١).

٥) هم الأولياء العارفون من السادة الصوفية.

عقلِها بعدَ ثبوتِ الشرعِ لحكْمِ ما يأتي بهِ الشرعُ إليها ويقضي بهِ، فهم ساداتُ العالم[١].

• لو لم يكنْ للمكلَّفِ نسبةٌ إلى الفعلِ بوجهٍ ما لَمَا قيلَ له: افْعَلْ، وكانت الشريعةُ كلُّها عبَثًا، وهي حقٌّ في نفسِها، فلا بدَّ أنْ يكونَ للعبدِ نسبةٌ صحيحةٌ إلى الفعلِ، مِن تلكَ النسبةِ قيلَ لهُ: افْعَلْ[٢].

• رأيتُ الرحمةَ كلَّها في التسليمِ والتلقّي منَ النبوّةِ والوقوفِ عندَ الكتابِ والسنّةِ، ولقد عميَ الناسُ عن قولِه ﷺ: «عندَ نَبِيٍّ لا يَنبغي تنازع»[٣]. وحضورُ حديثِهِ ﷺ كحضورِه، لا يَنبغي أنْ يكونَ عندَ

---

١) الفتوحات المكية (١٠ / ٤١٣).

٢) الفتوحات المكية (٧ / ٢٥١).

٣) صحيح البخاري (٤/ ٦٩)، برقم (٣٠٥٣)، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس؟ ثم بكى حتى خضب دمعه الحصباء، فقال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس، فقال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده أبدًا، فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: هجر رسول الله ﷺ، قال: دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه، وأوصى عند موته بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، ونسيت الثالثة، وقال يعقوب بن محمد، سألت المغيرة بن عبد الرحمن، عن جزيرة العرب: فقال مكة، والمدينة، واليمامة، واليمن، وقال يعقوب والعرج أول تهامة.

إيرادِه تَنازعٌ، ولا يَرفعُ السامعُ صوتَهُ عندَ سرْدِ الحديثِ النبويّ، فإنّ اللهَ يقول: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢]، ولا فرقَ عندَ أهلِ الله بينَ صوتِ النبيِّ أو حكايةِ قولِه، فما لنا إلا التهيّؤُ لقبولِ ما يَردُ به المحدِّثُ من كلامِ النبوّةِ من غيرِ جدالٍ، سواءٌ كان ذلكَ الحديثُ جوابًا عن سؤالٍ أو ابتداءَ كلامٍ، فالوقوفُ عندَ كلامِه في المسألةِ أو في النازلةِ واجبٌ، فمتى ما قيل: قالَ الله، أو قالَ رسولُ الله ﷺ ينبغي أن يُقبِلَ ويَتأدّبَ السامع، ولا يرفعُ صوتَه على صوتِ المحدِّثِ إذا قال ما قال اللهُ، أو سردَ الحديثَ عن رسولِ الله ﷺ[١].

• تَخيَّلَ من لا يعرفُ أنَّ الشريعةَ تُخالفُ الحقيقةَ، وهيهاتَ لِمَا تَخيّلوه. بل الحقيقةُ عينُ الشريعة. فإنَّ الشريعةَ جسمٌ وروحٌ.. فجسمُها علمُ الأحكام، وروحُها الحقيقةُ. فمَا ثَمَّ إلا الشرعُ[٢].

• حقيقةُ الفتوّةِ أنْ يُؤثِرَ الإنسانُ العِلْمَ المَشروعَ الواردَ منَ الله على أَلسنةِ الرسلِ على هوَى نفسِهِ وعلى أدلَّةِ عقلِهِ وما حَكَمَ بِهِ فكرُهُ ونظرُهُ إذا خالَفَ عِلْمَ الشارعِ المقرِّرِ لَهُ، هذا هوَ الفتى، فيكونُ بينَ

---

١) الفتوحات المكية (٢/ ١٦٨).

٢) مجموع رسائل ابن عربي، كتاب التراجم ترجمة الشريعة والحقيقة (ص٢٢٩).

يدَي العِلْمِ المشروعِ كالميّتِ بينَ يدَي الغاسِلِ[١].

• عينُ الشريعةِ عينُ الحقيقةِ[٢].

• ما ثَـمَّ حقيقةٌ تُخالفُ شريعةً[٣].

• يا نفسُ، وعزّةِ منْ جبَلَكِ على المخالفةِ وجعلَكِ محلًّا لكلِّ وصفٍ مذمومٍ لا أتركُكِ على دعواكِ حتى أعرضَ أحوالَكِ كلَّها على كتابِ الله تعالى وسنّةِ رسولِه ﷺ[٤].

• الزمِ الاتباعَ تكنْ عبدًا، ولا تَبتدعْ في العبوديةِ حُكمًا فتكونَ بذلكَ الابتداعِ رَبًّا، فإنّه البديعُ سبحانَه، فالزَمْ حقيقتَكَ تَـحْظَ بِهِ، وإنْ شارَكْتَهُ لمْ تَـحْظَ بهِ؛ فإنَّهُ لا يُشارَكُ[٥].

• لقدْ صارَ قلبي قابلاً كلَّ صُورةٍ فمرعًى لِغزْلانٍ ودَيرٌ لرُهبانِ
وبيتٌ لأوثانٍ وكعبةُ طائفٍ وألواحُ توراةٍ ومصحفُ قرآنِ
أدينُ بدينِ الحبِّ أنّى تَوجَّهَتْ ركائبه.. فالدينُ دِيني وإيماني

(لقد صار قلبي قابلًا كل صورة) كما قال الآخر:

---

١) الفتوحات المكية (٥/ ٣٦٦).

٢) الفتوحات المكية (٦/ ٦٣٧).

٣) الفتوحات المكية (٦/ ٦٣٨).

٤) روح القدس في محاسبة النفس (ص٢٦).

٥) الفتوحات المكية (٤/ ٨٩).

ما سمِّيَ القَلبُ إلا مِنْ تَقلُّبِهِ .....[1]

فهو يتنوّعُ بتنوّعِ الواردات عليه، وتنوّعُ الواردات بتنوّعِ حوالِه، وتنوّعُ أحوالِه لتنوّعِ التجلياتِ الإلهيةِ لسرِّه، وهوَ الذي كنى عنه الشرعُ بالتحوّلِ والتبدّلِ في الصورِ، ثم قال: (فمرعًى لغزلان) أي: إذا وصفناه بالمرعى كنينا عن السارحين فيه بالغزلانِ.. دونَ غيرِهمْ منَ الحيوانات، لأنَّ كلامَنا بلسانِ الهوَى، وبالغزلان يقعُ التشبيهُ بالأحبةِ للمحبينَ في هذا اللسانِ، ولا شكَّ أنَّ عينَ الفرسِ سوداءُ متّسعةٌ ولكنْ ما وقعَ التشبيهُ إلا بعينِ الغزلان، وقوله: (وديرٌ لرهبان) يقول: إذا جعلناهمْ رهبانًا من الرهبانيةِ جعلنا القلبَ ديرًا؛ للمناسبة؛ لأنّه منزلُ الرهبانِ وموضعُ إقامتِهم.

(وبيتٌ لأوثانٍ وكعبةُ طائفٍ وألواحُ توراةٍ، ومصحفُ قرآنِ)

يقول: وهذا القلبُ صورةُ بيتِ الأوثان؛ لما كانت الحقائقُ

---

١) من البسيط، لعمر بن أبي ربيعة، وتمامه:

ما سُمِّيَ القَلْبُ إلّا مِنْ تَقَلُّبِهِ ولا الفؤادُ فؤاداً غيرَ أنْ عقلا

من قصيدة مطلعها:

يا صاحبيّ، قفا نَسْتَخْبِرِ الطَّلَلا عَنْ بَعْضِ مَنْ حَلَّهُ بِالأَمْسِ، ما فَعَلا.

ديوان عمر ابن أبي ربيعة (ص: ١٦٦).

المطلوبةُ للبشرِ قائمةً به، التي يعبدون اللهَ من أجلها فسمى ذلك أوثانًا.. ولما كانت الأرواحُ العُلْويةُ حافّينَ بقلبِه سمّى قلبَه كعبةً.. وهي الأرواحُ المذكورةُ له إذا مسّه طائفٌ من الشيطان، فهنَّ أصحابُ الملماتِ الملَكيّة، ولما حصَلَ من العلومِ الموسَويّةِ العبرانيةِ جعلَ قلبَه ألواحًا لها.. ولما ورِثَ من المعارفِ المحمديةِ الكماليةِ جعلَها مصحفًا وأقامَها مقامَ القرآنِ لما حصلَ لهُ من مقامِ «أُوتيتُ جوامِعَ الكلمِ»[1].

ثم قال:

(أدينُ بدينِ الحبِّ أنى توجّهتْ ركائبُه فالدينُ ديني وإيماني)

يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. فلهذا سمّاه دينَ الحبِّ ودانَ بهِ؛ ليتلقى تكليفاتِ محبوبِه بالقبولِ والرضا والمحبةِ ورفعِ المشقّةِ والكلفةِ فيها بأيِّ وجهٍ كانت. ولذا قال: (أنى توجهت) أي: أية سلكت[2] مما يرضي ولا يرضي، فهي

---

١) صحيح مسلم (١/ ٣٧٢)، برقم (٥٢٣) بلفظ: «نصرتُ بالرعبِ على العدو، وأوتيتُ جوامعَ الكلم، وبينما أنا نائمٌ أتيت بمفاتيح خزائنِ الأرض، فوضعت في يدي».

٢) قوله: (أية سلكت) هكذا في المطبوع، ولعل هناك سقطًا، كـ: أية طريق

كلُّها مرضيّةٌ عندنا، وقوله: (فالدين ديني وإيماني) أي: ما ثَمَّ دينٌ أعلى من دينٍ قامَ على المحبةِ والشوقِ لمن أدينُ له به، وأمرَ به على غيبٍ، وهذا مخصوصٌ بالمحمديين، فإنَّ محمّدًا ﷺ له من بينِ سائرِ الأنبياءِ مقامُ المحبةِ لكمالِها مع أنَّه صفيٌّ ونجيٌّ وخليلٌ وغيرُ ذلكَ من معاني مقاماتِ الأنبياءِ، وزادَ عليهم أنَّ اللهَ اتخذَه حبيبًا أي: محبًّا محبوبًا، وورثتُهُ على منهاجِه[1].

سلكت. والله أعلم.

١) ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق للشيخ الأكبر(ص٣٩-٤٠).

قلت: تأمل أيها المنصف المعنى الذي عناه الشيخ كما شرحه هو، والمعاني الباطلة الكافرة والتي يزعمها دعاة وحدة الأديان وينسبونها لأبيات الشيخ، وحاشاه!

السماع[١]

• لا ينبغي للمؤمِنِ الكيِّسِ أنْ يُهمِلَ شيئًا من كلامِ الله ولا كلامِ المبلِّغِ عن الله، فإنَّ اللهَ تعالى يقولُ فيه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ [النجم: ٣]، وقد ذمَّ قومًا ﴿ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ [الأعراف: ٥١]، وهم في هذا الزمانِ أصحابُ السَّماعِ أهلِ الدُّفِّ والمِزمارِ. نعوذُ باللهِ من الخذلانِ.

ما الدِّينُ بالدُّفِّ والمِزْمارِ واللَّعِبِ لكنَّما الدِّينُ بالقُرآنِ والأَدَبِ[٢]

• لا تُسلِّمُ الصوفيةُ حَرَكَةَ الوَجْدِ الذي يَبقَى مَعَهُ الإحساسُ بِمَنْ في المَجلِسِ حتى تَسلَمَ لهُ حركتُهُ بالله، فمَهْما أحسَّ تعيَّنَ عليهِ أنْ يَجلِسَ إلا أنْ يُعرِّفَ الحاضِرينَ بأنَّهُ متواجِدٌ لا صاحِبُ وَجْدٍ فتُسَلَّمُ لَهُ ذلكَ، ولكِنْ لا تُحمَدُ هذهِ الحالةُ عندَهمْ على كلِّ حالٍ[٣].

---

١) السماع: مجالسُ تنشدُ فيها أبياتٌ من الشعر، وهو ما يسمى اليوم: الإنشاد.

وفصّل أحكامه حجة الإسلام الغزاليُّ في كتابه: إحياء علوم الدين. ولبعض العارفين عبارات شديدة في التحذير من ركون النفس إليه. ومنهم الشيخ الأكبر قُدّس سره.

٢) الفتوحات المكية (١١ / ٤١٧ - ٤١٨).

٣) الفتوحات المكية (١٠ / ٣٤١).

• واجبٌ على كلِّ محقّقٍ في هذا الزمانِ يَنظرُ إليهِ ويَقتدِي بهِ المريدُ الضعيفُ أنْ لا يقولَ بالسماعِ أصلًا، ويقطعَهُ قولًا فصلًا[1].

الآيات وخوارق العادات

• الكسوفُ آيةٌ من آياتِ الله، يخوّفُ اللهُ بهِ عبادَهُ، فإذا وَقعَ فالسّنّةُ أنْ يَفزعَ الناسُ إلى الصلاةِ كسائرِ الآياتِ المُخَوِّفاتِ مثْلِ الزلازلِ وشدّةِ الظلْمةِ واشتدادِ الريحِ على غيرِ المعتادِ. سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ عن الكسوفِ فقال: «إذا تَجَلّى اللهُ لِشَيءٍ خَشَعَ لَهُ»[2]. والحديثُ غيرُ ثابتٍ من طريقِ الروايةِ صحيحُ المعنى، وعندَنا أنَّ التجلّي لا زالَ دائمًا، وإنّما جهْلُ الناسِ بِهِ أدّاهمْ إلى أنْ يَقولوا أو يُقالُ لهمْ مثْلَ هذا؛ لِعدمِ علْمِهمْ، فخَرْقُ العادةِ إنَّما هوَ في أنْ يُعلَمَ خاصةً،

---

١) روح القدس في محاسبة النفس (ص ٢١).

٢) مسند أحمد (٣٠/ ٢٩٥)، برقم (١٨٣٥١)، سنن ابن ماجه (١/ ٤٠١)، برقم (١٢٦٢)، السنن الكبرى للنسائي (٢/ ٣٤٦)، برقم (١٨٨٣).

كما كانَ خرْقُ العادةِ في إسماعِ السامعينَ تسبيحَ الحصى[١]، وما زالَ الحصى مسبِّحًا، ولا شكَّ أنَّ النفوسَ ما تنبعثُ وتَهتزُّ إلا للآياتِ الخارقةِ للعادةِ.. والآياتُ الإلهيةُ منها مُعتادٌ وغيرُ مُعتادٍ، والقرآنُ قد وَرَدَ في الآياتِ المعتادَةِ كثيرٌ في قوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ ﴾ ويذكرُ أمورًا معتادةً ثمَّ يقولُ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ ﴾[٢] ولكنْ لا تَرفعُ العامةُ بِهَا

---

١) مسند البزار (٩/ ٤٣١)، برقم (٤٠٤٠): عن سويد بن يزيد، قال: رأيت أبا ذر جالسًا وحدَه في المسجد فاغتنمت ذلك فجلست إليه فذكرت له عثمان، فقال: لا أقول لعثمان أبدًا إلا خيرًا لشيء رأيته عند رسول الله ﷺ، كنت أتبع خلواتِ رسول الله ﷺ وأتعلم منه فذهبت يومًا، فإذا هو قد خرج فاتبعته فجلس في موضع فجلست عنده، فقال: يا أبا ذر ما جاء بك؟ قال: قلت: الله ورسوله، قال: فجاء أبو بكر فسلم وجلس عن يمين النبي ﷺ، فقال له: ما جاء بك يا أبا بكر؟ قال: الله ورسوله، قال: فجاء عمر فجلس عن يمين أبي بكر، فقال: يا عمر ما جاء بك؟ قال: الله ورسوله، ثم جاء عثمان فجلس عن يمين عمر، فقال: يا عثمان ما جاء بك قال: الله ورسوله، قال: فتناول النبي ﷺ سبع حصيات أو تسع حصيات فسبحن في يده حتى سمعتُ لهنَّ حنينًا كحنينِ النحل، ثم وضعَهن فخرسْن، ثم وُضعْن في يد أبي بكر فسبَّحنَ في يده حتى سمعت لهن حنينًا كحنين النحل، فوَضَعَهنّ فخرسْن، ثمَّ تناولَهنَّ فُوضِعْن في يد عمر فسبحنَ في يدِه حتى سمعتُ لهن حنينًا كحنين النحل، ثم وُضعْن فخرسن، ثم تناولهن فوُضعْنَ في يد عثمان فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنينًا كحنين النحل، ثم وضعن فخرسن.

٢) من ذلك قوله في سورة الروم: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم

رأسًا؛ لجرْيِ العادةِ واستيلاءِ الغفلةِ وعدمِ الحضورِ. وسببُ كسوفِ الشمسِ والقمرِ معروفٌ، والذي لا يُعرَفُ كونُهُ عن تجلٍّ إلهيٍّ إلا منْ جهةِ الرسولِ ﷺ أو عارفٍ صاحبِ كشفٍ، وقد جعلَ اللهُ الكسوفَ آيةً على ما يُريدُ أنْ يُحدثَهُ منَ الكوائنِ في العالَمِ العنصريِّ وفي العالمِ الذي يَظهرُ فيهِ الكسوفُ وفي الزمانِ، فإنّهُ قد يُكسَفُ ليلًا فلا أثرَ لهُ عندَنا ويكونُ الحدثُ أيضًا بحسبِ البرجِ الذي يَقعُ الكسوفُ فيهِ، وهوَ علمٌ قطعيٌّ أعني: علْمَ وقوعِ الكسوفِ لا علْمَ ما يُحدثُ اللهُ فيهِ أو عندَهُ، ويكونُ الكسوفُ في مكانٍ أكثرَ منهُ في مكانٍ آخرَ وفي مكانٍ دونَ مكانٍ، ويَبتدئُ في مكانٍ وفي مكانٍ آخرَ ما ابتدَأَ، بل هوَ

بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ وقوله في سورة الشورى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾.

على حالِهِ، وهذا كلُّه يَعرفُهُ العلماءُ بِهِ، فإنّهُ راجعٌ إلى حركاتٍ معلومةٍ معدودةٍ عندَ أهلِ هذا الشأنِ، وسببُ كسوفِ الشمسِ منَ القمرِ إذا كان في مسامَتَتِها فعلى قدرِ ما يُسامِتُها منهُ يَغيبُ منها عنْ أبصارِنا، فذلكَ الظلُّ الذي نَراهُ في الشمسِ هو منِ جِرْمِ القمرِ، وقد يحجبُها كلَّها فيظلمُ الجوُّ فيقعُ الإبصارُ على جِرمِ القمرِ، فتتخيّلُ العامّةُ أنّ ذلكَ المَرْئيَّ هوَ ذاتُ الشمسِ. والشمسُ نيّرةٌ في ذاتِها على عادتِها إلى أنْ يَشاءَ اللهُ تكويرَها[1].

• قالَ في عيسى عليه السلام: «لوِ ازْدادَ يقينًا لَمَشَى في الهَواءِ»[2]، ولا نشكُّ أنَّ عيسى عليه السلام أقوَى في اليقينِ منّا بما لا يتقارَبُ؛ فإنّهُ مِنْ أُولِي العزمِ مِنَ الرسلِ، ونحنُ نمشي في الهواءِ بلا شكّ، وقد رأَيْنا خَلْقًا كثيرًا ممّن يَمشي في الهواءِ في حالِ مَشيهِمْ في الهَواءِ، فعلمْنا قطعًا أنَّ مَشْيَنا في الهواءِ إنّما هوَ بحكمِ صدْقِ التّبعيّةِ لا بزيادةِ اليقينِ على يقينِ عيسى عليه السلام، قدْ عَلِمَ كلٌّ منّا مشرَبَه، فمشَيْنا بحكمِ التّبعيّةِ

---

١) الفتوحات المكية (٣/ ١١١ -١١٢).

٢) ذكره الحكيم الترمذي بلفظ: قال ﷺ: إن عيسى كان يمشي على الماء، ولو ازداد يقينًا لمشى في الهواء. ولم يسنده، ولم أقف على من ذكره غيره. ينظر نوادر الأصول في أحاديث الرسول (٣/ ١٧٠).

لِمُحَمَّدٍ ﷺ منَ الوَجهِ الخاصِّ الذي لَهُ هذا المقامُ، لا مِنْ قوّةِ اليقينِ -كما قلْنا- الذي كنّا نَفضُلُ بهِ عيسى عليه السلام، حاشى لله أنْ نقولَ بهذا، كمَا أنَّ أمةَ عيسى يَمشونَ على الماءِ بِحكمِ التبعيّةِ لا بِمساواةِ يَقينِهِمْ يَقينَ عيسى عليه السلام، فنحنُ معَ الرسلِ في خَرْقِ العَوائدِ [التي][1] اختصُّوا بِهَا منَ الله وَظهَرَ أمثالُها عَليْنا بِحكمِ التّبعيّةِ كمَا مَثّلْناهُ في كتابِ (اليقين)[2] أنَّ لِمماليكِ الخَوَاصِّ الذينَ يُمْسِكونَ نِعالِ أستاذِيهِمْ منَ الأمراءِ إذا دَخَلُوا على السلطانِ وَبقيَ بعضُ الأمراءِ خارجَ البابِ حينَ لم يُؤذنْ لهمْ في الدخولِ، أَتَرَى المماليكَ الداخلينَ معَ أستاذِيهِمْ أرفعَ منصبًا منَ الأمراءِ [الذينَ][3] ما أُذِنَ لَهُمْ؟ فهلْ دَخَلُوا إلا بِحكمِ التّبعيّةِ لِأستاذِيهِمْ؟!بلْ كلُّ شَخْصٍ على رُتبتِهِ، فالأمراءُ متميِّزونَ على الأمراءِ، والمماليكُ متميِّزونَ على المماليكِ في جِنسِهِمْ،كذلكَ نحنُ معَ الأنبياءِ فيما يكونُ للاتباعِ مِنْ خرْقِ العوائدِ[4].

---

١) في المطبوع: الذي.

٢) اليقين للشيخ الأكبر (ص٦٣-٦٤).

٣) في المطبوع: الذي.

٤) الفتوحات المكية (١ / ٦٦٧).

• لمّا ظهرَ للسحرةِ خوفُ موسى ممّا رآه، وما علموا متعلّقَ هذا الخوفِ أيّ شيءٍ هو؟ علموا أنّهُ ليسَ عندَ موسى من علمِ السحرِ شيءٌ؛ فإنّ الساحرَ لا يَخافُ ممّا يَفعلُه؛ لِعلمِهِ أنّهُ لا حقيقةَ لهُ من خارجٍ، وأنّهُ ليسَ كما يَظهرُ لأعينِ الناظرين، فأمَرَ اللهُ موسى أنْ يُلقيَ عصاه وأخبرَ أنّها ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ﴾ [طه: ٦٩]، فلمّا ألقى موسى عصاه فكانتْ حيّةً عَلمَتِ السحرةُ بأجمعِها ممّا علمَتْ من خوفِ موسى أنّهُ لو كانَ ذلكَ منهُ وكانَ ساحرًا ما خاف، وَرَأَوا عصاه حيّةً حقيقةً عَلمُوا عندَ ذلكَ أنّه أمرٌ غيبٌ منَ الله الذي يدعوهمْ إلى الإيمانِ بهِ، وما عندَه منْ علمِ السحرِ خبَرٌ، فتلقَّفَتْ تلكَ الحيةُ جميعَ ما كان في الوادي من الحبالِ والعصيِّ، أي: تلقَّفَتْ صوَرَ الحياتِ منها، فبَدَتْ حِبالًا وعِصيًّا كما هي، وأخذَ اللهُ بأبصارِهمْ عن ذلكَ، فإنّ اللهَ يقول ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ﴾ [طه: ٦٩]، وما صنعوا الحبالَ ولا العصيَّ، وإنّما صَنعوا في أعينِ الناظرينَ صُوَرَ الحيّاتِ، وهي التي تَلَقَّفَتْ عصا موسى، فتنبَّهْ لِمَا ذكرتُ لكَ، فإنّ المفسرينَ ذُهِلُوا عن هذا الإدراكِ في إخبارِ اللهِ تعالى، فإنَّهُ ما قالَ: تلقفْ حبالَهم وعصيَّهم، فكانتِ الآيةُ عندَ السحرةِ خوفَ موسى، وأَخْذَ صوَرِ الحيّاتِ منَ الحبالِ والعصيِّ [1].

---

١) الفتوحات المكية (١/ ٦٩٠- ٦٩١).

• اتّفَقَ لَنا في مجلسٍ حضَرْنا فيهِ سنةَ ستٍّ وثمانينَ وخمسِمِائَةٍ وقد حضَرَ عندَنا شخصٌ فيلسوفٌ يُنكرُ النبوَّةَ على الحدِّ الذي يُثبِتُها المُسلمونَ، ويُنكِرُ ما جاءت بهِ الأنبياءُ من خَرْقِ العوائِدِ، وأنَّ الحقائِقَ لا تَتبَدَّلُ. وكانَ زمانُ البردِ والشتاءِ، وبينَ أيدِينا منقلٌ عظيمٌ يَشتعلُ نارًا، فقالَ المُنكِرُ المُكذِّبُ: إنَّ العامَّةَ تقولُ: إنَّ إبراهيمَ عليه السلام أُلقِيَ في النارِ فَلَمْ تُحرِقْهُ، والنارُ مُحرِقَةٌ بِطبعِها الجسومَ القابلَةَ للإحراق، وإنّما كانتِ النارُ المذكورةُ في القرآنِ في قصّةِ إبراهيمَ الخليلِ عبارةً عنْ غَضَبِ نمرودَ عليهِ وحنقِه، فهيَ نارُ الغضبِ، وكونُه أُلقِيَ فيها؛ لأنَّ الغَضَبَ كانَ عليهِ، وكونُها لمْ تُحرِقْهُ أيْ: لمْ يُؤثِّرْ فيهِ غَضَبُ الجبّارِ لِمَا ظَهَرَ بِهِ عَليهِ مِنَ الحُجَّةِ بِمَا أقامَهُ منَ الأَدِلّةِ فيما ذَكَرَ من أُفُولِ الأنوارِ وأنَّها لَوْ كانتْ آلهةً ما أَفَلَتْ، فرَكَّبَ لَهُ مِنْ ذلكَ دَليلًا. فلمّا فَرغَ منْ قولِهِ قالَ لَهُ بعضُ الحاضرينَ[1] ممّن كانَ لهُ هذا المَقام: فإنْ أَريتُك أنَا صِدْقَ ما قالَهُ اللهُ تعالى في النارِ أنَّها لمْ تُحرِقْ إبراهيمَ وأنَّ اللهَ جعَلَها عليهِ -كما قالَ- بردًا وسلامًا، وأنَا أَقومُ لكَ في هذا المَقامِ مَقامَ إبراهيمَ عليه السلام في الذبِّ عنهُ، لا أنَّ ذلكَ كرامةٌ في حقّي؟! فقالَ المُنكِرُ: هذا لا يَكونُ! فقالَ له: أليستْ هذِهِ هيَ النارَ المُحرِقةَ؟ قالَ:

---

١) لعله هو الشيخ قدس سره.

نَعَمْ، قالَ: تَراها في نفْسِكَ! ثمَّ أَلقَى النارَ التي في المنقَلِ في حِجْرِ المُنكرِ، وبَقِيَتْ على ثيابِهِ مدَّةً، يُقَلِّبُها المُنكِرُ بيدِهِ، فلمّا رَآها ما تُحرِقُهُ تَعجَّبَ! ثُمَّ رَدَّها إلى المنقلِ، ثمَّ قالَ لَهُ: قرِّبْ يدَكَ أيضًا منْها، فقرَّبَ يَدَهُ فأحرَقَتْهُ! فقالَ لَهُ: هكذا كانَ الأمرُ، وهيَ مأمورةٌ، تُحرِقُ بالأمرِ وتَتركُ الإحراقَ كذلكَ، واللهُ تعالَى الفاعِلُ لِمَا يَشاءُ. فأَسْلَمَ ذلكَ المُنكِرُ واعْتَرَفَ. فمِثْلُ هذا يَظهرُ على تارِكِ الكراماتِ، فإنّهُ يُقيمُها في زمانِهِ نيابةً عن الرسولِ ﷺ في المعجزةِ والآيةِ على صدْقِهِ، فجاءَ بِها لإقامةِ الدليلِ على صِدْقِ الشارِعِ والدِّينِ لا على نفسِهِ أنَّهُ وَلِيٌّ للهِ بخَرْقِ هذِهِ العادةِ. فهذا معنى تركِ الكراماتِ، وَلَهَا رجالٌ وهمُ المَلاميّةُ خاصَّة، وأمّا الصوفيةُ فيَظهرونَ بِهَا، وهيَ عندَ الأكابرِ من رعوناتِ النفوسِ إلا على حدِّ ما ذكرناه[1].

• كلُّ خرْقِ عادةٍ يكونُ عنِ استقامةٍ او تنتجُ استقامةً فهيَ كرامةٌ، وإلّا فَلا يُعَوَّلُ عليهِ[2].

• اعلَمْ -أيّدَكَ اللهُ- أنّ الكرامةَ منَ الحقِّ منِ اسمِه (البَرّ)، ولا تكونُ إلا للأبرارِ من عبادِهِ جَزاءً وِفاقًا، فإنَّ المناسبةَ تطلُبُها وإنْ لم

---

١) الفتوحات المكية (٦ / ٩٢ -٩٣).

٢) رسائل ابن عربي، رسالة لا يعول عليه (ص ١٩٦).

يَقمْ طلَبٌ ممّنْ ظهَرَتْ عليهِ، وهيَ على قسمينِ، حسّيّةٌ ومعنويةٌ، فالعامةُ ما تعرفُ الكرامَةَ إلا الحسّيّةَ، مثلُ الكلامِ على الخاطرِ والإخبارِ بالمغيّباتِ الماضيةِ والكائنةِ والآتيةِ والأخْذِ منَ الكونِ والمشْيِ على الماءِ واختراقِ الهواءِ وطَيِّ الأرضِ والاحتجابِ عنِ الأبصارِ وإجابةِ الدعاءِ في الحالِ، فالعامّةُ لا تعرفُ الكراماتِ إلا مثْلَ هذا، وأما الكرامةُ المعنويّةُ فلا يَعرفُها إلا الخواصُّ منْ عبادِ الله، والعامةُ لا تعرفُ ذلكَ، وهي أن تُحفَظَ عليه آدابُ الشريعةِ، وأنْ يُوفَّقَ لإتيانِ مَكارِمِ الأخلاقِ، واجتنابِ سَفْسافِها، والمحافظةُ على أداءِ الواجباتِ مطلقًا في أوقاتِها، والمسارعَةُ إلى الخيراتِ، وإزالةُ الغِلِّ والحقدِ منْ صدْرِهِ لِلناس، والحسَدِ وسوءِ الظنِّ وطهارةُ القلبِ منْ كلِّ صفةٍ مذمومةٍ، وتحلِيَتُهُ بالمراقَبةِ معَ الأنفاسِ، ومراعاةُ حقوقِ الله في نفْسِهِ وفي الأشياءِ، وتفقّدُ آثارِ ربِّهِ في قلبِهِ، ومراعاةُ أنفاسِهِ في خروجِها ودخولِها، فيَتلقّاها بالأدَبِ إذا وَرَدَتْ عليهِ، ويُخرجُها وعليها خلْعةُ الحضورِ. فهذِهِ كلُّها عندَنا كراماتُ الأولياءِ المعنويّةُ التي لا يَدخلُها مَكْرٌ ولا استدراجٌ، بل هيَ دليلٌ على الوفاءِ بالعهودِ وصحّةِ القصدِ والرضَى بالقضاءِ في عدمِ المطلوبِ ووجودِ المكروهِ. ولا يُشارِكُكَ في هذه الكراماتِ إلا الملائكةُ المقرّبونَ وأهلُ الله المُصطَفَونَ الأخيارُ، وأمّا الكراماتُ التي ذكرْنا أنَّ العامةَ تَعرِفُها

فكلُّها يُمكنُ أنْ يَدخلَها المكرُ الخفيُّ، ثُمَّ إنّا إذا فرضْناها كرامةً فلا بدَّ أنْ تكونَ نتيجةً عنِ استقامةٍ أو تُنتجُ استقامةً لا بدَّ منْ ذلكَ. وإلا فَليستْ بِكرامةٍ. وإذا كانتِ الكرامةُ نتيجةَ استقامةٍ فقدْ يُمكنُ أنْ يجعلَها اللهُ حظَّ عملِكَ وجزاءَ فِعْلِكَ، فإذا قدمتَ عليهِ يُمكنُ أنْ يُحاسبَكَ بِها. وما ذكرْناهُ منَ الكراماتِ المعنويّةِ فلا يَدخلُها شيءٌ ممّا ذكرْناهُ؛ فإنَّ العلْمَ يصحبُها، وقوّةُ العِلْمِ وشرفُهُ تُعطيكَ أنَّ المكرَ لا يَدخلُها؛ فإنَّ الحدودَ الشرعيَّةَ لا تُنصبُ حبالةً للمكرِ الإلهيِّ، فإنّها عَينُ الطريقِ الواضحةِ إلى نيلِ السعادةِ، والعلمُ يَعصمُكَ منَ العجبِ بِعملِكَ؛ فإنَّ العِلْمَ منْ شرفِهِ أنَّهُ يَستعملُكَ، وإذا استعمَلَكَ جَرَّدَكَ منهُ، وأضافَ ذلكَ إلى اللهِ، وأعلَمَكَ أنَّ بتوفيقِهِ وهدايتِهِ ظهَرَ منكَ ما ظَهَرَ منْ طاعتِهِ والحفظِ لِحدودِهِ، فإذا ظهَرَ عليهِ شيءٌ منْ كراماتِ العامةِ ضجَّ إلى اللهِ منْها، وسَأَلَ اللهَ سترَهُ بالعوائدِ وأنْ لا يتميّزَ عنِ العامةِ بأمْرٍ يُشارُ إليهِ فيهِ ما عدا العلمَ؛ لأنَّ العلْمَ هوَ المطلوبُ، وبِهِ تَقعُ المنفعةُ ولَوْ لمْ يعملْ بِهِ، فإنَّهُ لا ﴿يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، فالعلماءُ همُ الآمِنونَ منَ التلبيسِ، فالكرامةُ منَ اللهِ تعالى بعبادِهِ إنّما تكونُ للوافدينَ عليهِ منَ الأكوانِ ومنْ نفوسِهِمْ؛ لِكونِهِمْ لمْ يَرَوا وَجْهَ الحقِّ فيهما، فأسنَى ما أكرَمَهُمْ بِهِ منَ الكراماتِ العِلْمُ خاصّة؛ لأنّ الدنيا موطِنُهُ، وأمّا غيرُ ذلكَ منْ خرقِ العاداتِ

فليستِ الدنيا بِموطنٍ لَهَا، ولا يَصحُّ كونُ ذلكَ كرامةً إلا بتعريفٍ إلهيٍّ، لا بِمجرَّدِ خَرْقِ العادةِ، وإذا لمْ تصحَّ إلا بتعريفٍ إلهيٍّ فذلكَ هوَ العلْمُ، فالكرامةُ الإلهيةُ إنّما هيَ ما يَهبُهُمْ منَ العلْمِ بِهِ عزَّ وجلَّ. سُئِلَ أبو يزيدَ البِسطاميُّ عن طَيِّ الأرضِ فقالَ: ليسَ بشيءٍ؛ فإنّ إبليسَ يقطعُ منَ المشرقِ إلى المغربِ في لحظةٍ واحدةٍ وما هوَ عندَ اللهِ بمكانٍ، وسُئلَ عنِ اختراقِ الهواءِ فقالَ: إنَّ الطيرَ يخترقُ الهواءَ والمؤمنُ عندَ اللهِ أفضلُ منَ الطيرِ، فكيفَ يحسبُ كرامةً منْ شاركَهُ فيها طائرٌ. وهكذا علَّلَ جميعَ ما ذكرْناه، ثمّ قالَ: إلهي، إنَّ قومًا طلبوكَ لِمَا ذَكروه فشغلْتَهمْ بِهِ وأَهَّلْتَهُمْ لَهُ، اللهمَّ مهْما أَهَّلْتَنِي لشيءٍ فأَهِّلْني لِشيءٍ منْ أشيائِكَ، يقولُ: من أسرارِك. فما طلَبَ إلا العلْمَ؛ لأنَّهُ أسنى تحفةٍ وأعظمُ كرامةٍ ولو قامتْ عليكَ بِهِ الحجةُ فإنّهُ يجعلُكَ تَعترفُ ولا تُحاجِجُ، فإنّكَ تَعلَمُ ما لَكَ وما عليكَ وما لَهُ. وما أمَرَ اللهُ تعالى نبيَّهُ ﷺ أنْ يطلبَ منهُ الزيادةَ من شيءٍ إلا منَ العلمِ[1]؛ لأنَّ الخيرَ كلَّه فيهِ وهوَ الكرامةُ العظمى، والبطالةُ معَ العلمِ أحسنُ منَ الجهلِ معَ العملِ، وأسبابُ حصولِ العلمِ كثيرةٌ. ولا أعني بالعلمِ إلا العلْمَ باللهِ والدارِ الآخرةِ وما تستحقُّهُ الدارُ الدنيا وما خُلِقَتْ لَهُ

---

١) قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

ولأيِّ شيءٍ وُضِعتْ حتى يكونَ الإنسانُ منْ أمرِهِ على بصيرةٍ حيثُ كانَ، فلا يَجهلُ منْ نفسِهِ ولا منْ حركاتِهِ شيئًا[١].

كلُّ خَرْقِ عادةٍ يكونُ عنِ استقامَةٍ أو يُنتجُ استقامةً فهي كرامةٌ، وإلا فَلا يُعوَّلُ عليه[٢].

الكتب النادرة التي تزوّد بها لأول مرة

١) الفتوحات المكية (٦ / ٨٧ -٨٩).

٢) رسائل ابن عربي رسالة ما لا يعول عليه (ص١٩٦).

محبة أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأدب معهم عليهم السلام

• ليسَ لَنا ذمُّ أحدٍ، فكيفَ بأهلِ البيتِ فإنّا إذا نزلْنا عن طلبِ حقوقِنا وعفَوْنا عنهمْ في ذلكَ -أي: فيما أصابوه منّا- كانتْ لنا بذلكَ عندَ الله اليدُ العظمى والمكانةُ الزلفى؛ فإنَّ النبيَّ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ما طلبَ منّا عنْ أمرِ الله إلا المودةَ في القربى[1]، وفيهِ سرُّ صلةِ الأرحامِ، ومنْ لمْ يقبلْ سؤالَ نبيِّهِ فيما سألَهُ فيهِ ممّا هوَ قادرٌ عليهِ بأيِّ وجهٍ يَلقاهُ غدًا أو يَرجو شفاعتَهُ وهوَ ما أسعفَ نبيَّهُ ﷺ فيما طلبَ منهُ من المودةِ في قرابتِهِ فكيفَ بأهلِ بيتِهِ؟! فهمْ أخصُّ القرابةِ ثمَّ إنَّهُ جاءَ بلفظِ المودّةِ، وهوَ الثبوتُ على المحبّةِ فإنَّهُ من ثبتَ ودُّهُ في أمرٍ استصحَبَهُ في كلِّ حالٍ وإذا استصحبَتْهُ المودّةُ في كلِّ حالٍ لم يُؤاخِذْ أهلَ البيتِ بِمَا يَطرأُ منهُمْ في حقِّهِ ممّا لَهُ أنْ يُطالبَهُمْ بِهِ فيتركُهُ تَرْكَ محبَّةٍ وإيثارًا لنفسِهِ لا عليها، قالَ المحبُّ الصادقُ:

..... وكلُّ ما يفعلُ المحبوبُ محبوبُ[2]

---

١) في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣].

٢) من أبياتٍ من البسيط لمهيار بن مرزويه الديلمي الكاتب، ومنها:

وجاءَ باسمِ الحبِّ فكيفَ حالُ المودّةِ؟...

ثمّ قالَ:

وقالَ الآخرُ في المعنى:

أحبُّ لِحبِّها السودانَ حتّى أُحبّ لحبِّها سودَ الكلابِ [1]

ولَنا في هذا المعنى:

أحبُّ لِحبِّك الحبشانَ طرًّا وأعشقُ لِاسمكَ البدرَ المُنيرَا.

قيلَ: كانتِ الكلابُ السودُ تناوشُهُ وهو يتحبّبُ إليها فهذا فعْلُ المحبِّ في حبِّ منْ لا تُسعدُهُ محبّتُهُ عندَ الله ولا تُورثُهُ القربةَ منَ الله، فهلْ هذا إلا منْ صدْقِ الحبِّ وثبوتِ الودِّ في النفسِ.

أستنجدُ الصّبرَ فيكمْ وهو مغلوبُ وأسألُ النّومَ عنكمْ وهوَ مسلوبُ

وأبتغي عندكمْ قلبًا سمحتُ بهِ وكيفَ يرجعُ شيءٌ وهو موهوبُ؟

رضاهُ أسخط أم أرضَى تلوّنَه وكلُّ ما يفعلُ المحبوبُ محبوبُ

أستودعُ اللهَ في أبياتكمْ قمرًا تراهُ بالغيبِ عيني وهو محجوبُ

ما كنتُ أعلمُ ما مقدارُ وصلكمُ حتّى هجرتمْ، وبعضُ الهجرِ تأديبُ

دمية القصر وعصرة أهل العصر (١/ ٣٠٤).

١) لم أقف على ناظمه.

وينظر عيون الأخبار (٤/ ٤٤).

فلوْ صحَّتْ محبّتُكَ لله ولِرسولِهِ أحببْتَ أهلَ بيتِ رسولِ الله ﷺ، ورأيتَ كلَّ ما يَصدرُ منهمْ في حقّكَ ممّا لا يُوافقُ طبعَك ولا غرضَكَ أنه جَمالٌ تَتنعَّمُ بوقوعِهِ منهُمْ، فتعلمُ عندَ ذلكَ أنّ لكَ عنايةً عندَ الله الذي أحببتَهُمْ منْ أجلِهِ، حيثُ ذكرَكَ مَنْ يُحبُّهُ وخطرتَ على بالِه، وهمْ أهلُ بيتِ رسولِهِ ﷺ، فتشكر اللهَ تعالى على هذه النعمةِ، فإنّهمْ ذكروكَ بألسنَةٍ طاهرةٍ بتطهيرِ [...][1] الله طهارةً لمْ يبلُغْها علمُكَ. وإذا رأيناكَ على ضدِّ هذه الحالةِ معَ أهلِ البيتِ الذي أنتَ محتاجٌ إليهمْ ولرسولِ ﷺ حيثُ هداكَ اللهُ بهِ فكيفَ أثقُ أنا بِودِّكَ الذي تَزعمُ بِهِ أنَّكَ شديدُ الحبِّ فيَّ والرعايةِ لِحقوقي أو لِجانبي وأنتَ في حقِّ أهلِ نبيِّكَ بهذِهِ المثابةِ منَ الوقوعِ فيهمْ؟!

والله ما ذاكَ إلا منْ نقصِ إيمانِكَ ومنْ مكرِ الله بكَ واستدراجِه إياكَ منْ حيثُ لا تعلمُ، وصورةُ المكرِ أنْ تقولَ وتعتقدَ أنَّكَ في ذلكَ تذبُّ عن دينِ الله وشرعِهِ، وتقولُ في طلبِ حقِّكَ: إنّكَ ما طلبتَ إلا ما أباحَ اللهُ لكَ طلبَهُ. ويندرجُ الذمُّ في ذلكَ الطلبِ المشروعِ والبغضُ والمقتُ وإيثارُكَ نفسَكَ على أهلِ البيتِ وأنتَ لا تشعرُ بذلكَ. والدواءُ الشافي من هذا الداءِ العضالِ أنْ لا ترى لِنفسكَ

---

١) ههنا في المطبوع: بتطهير. وهو تكرار.

معهمْ حقًّا وتنزلُ عن حقّكَ لِئلا يندرجَ في طلبِهِ ما ذكرتُهُ لكَ، وما أنتَ منْ حكّامِ المسلمينَ حتى يتعيّن عليكَ إقامةُ حدٍّ أو إنصافُ مظلومٍ أو رَدُّ حقٍّ إلى أهلِهِ، فإنْ كنتَ حاكمًا ولا بدَّ فاسْعَ في استنزالِ صاحبِ الحقِّ عن حقِّهِ إذا كان المحكومُ عليهِ منْ أهلِ البيتِ فإنْ أبى حينئذٍ يَتعيّنُ عليكَ إمضاءُ حكمِ الشرعِ فيهِ، فلوْ كَشفَ اللهُ لكَ يا وليُّ عن منازلِهِمْ عندَ اللهِ في الآخرةِ لَوددتَ أنْ تكونَ مولًى من مواليهمْ. فاللهُ يُلهمُنا رشدَ أنفسِنا[١].

• ما فَعَلَ أكثرُ الناسِ ما سأَلَهُمْ فيهِ رسولُ اللهِ ﷺ عنْ أمرِ اللهِ، فعصَوا اللهَ ورسولَهُ، وما أحبُّوا من قرابتِهِ إلا مَنْ رَأَوا منهُ الإحسانَ، فأغراضَهُمْ أحَبُّوا، وبنفوسِهِمْ تَعشّقوا!![٢].

• احذرْ أنْ تتصدقَ على شريفٍ من أهلِ البيتِ، وانْوِ فيما توصلُهُ إليهمُ الهديةَ لا الصدقةَ[٣][٤].

---

١) الفتوحات المكية (١/ ٥٩٦ -٥٩٨).

٢) الفتوحات المكية (١/ ٥٩٨).

٣) الفتوحات المكية (١٢ / ٥٧٦).

٤) اعلم أنه اتفق الفقهاء: على عدم جواز الزكاة على آل محمد ﷺ، لقوله عليه الصلاة والسلام: إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس.

• أمّا خيانةُ مَنْ خانَ رسولَ الله ﷺ فهيَ فيما أعطاكَ اللهُ منَ الآدابِ أنْ تُعاملَ بِهِ رسولَ الله ﷺ، وهذهِ المعاملةُ هيَ عينُ أدائِها إليهِ ﷺ، فإذا لمْ تتأدّبْ معَهُ فمَا أدّيتَ أمانتَهُ إليهِ، فقد خنتَ رسولَ

أما كفارة اليمين والظهار والقتل وجزاء الصيد فذهب الحنفية والمالكية والشافعية إلى أنها لا تحل لآل محمد ﷺ.

وذهب الحنابلة إلى جواز أخذ الآل من الوصايا لأنها تطوع، وكذا النذور؛ لأنها في الأصل تطوع، فأشبه ما لو وصى لهم. وعلى ذلك يجوز لهم الأخذ منها. وفي الكفارة عندهم وجه آخر بالجواز، لأنها ليست بزكاة ولا هي أوساخ الناس، فأشبهت صدقة التطوع.

وأما حكم أخذ الآل من صدقة التطوع فللفقهاء في هذه المسألة ثلاثة اتجاهات:

الأول: الجواز مطلقًا، وهو قول عند الحنفية والشافعية، ورواية عن أحمد؛ لأنها ليست من أوساخ الناس، تشبيهًا لها بالوضوء على الوضوء.

الثاني: المنع مطلقًا، وهو قول عند الحنفية والشافعية، ورواية عن أحمد أيضًا، وهي الأظهر عند الحنابلة؛ لأن النصوص الواردة في النهي عن أخذ آل البيت من الصدقة عامة، فتشمل المفروضة والنافلة.

الثالث: الجواز مع الكراهة، وهو مذهب المالكية، جمعا بين الأدلة. ينظر الموسوعة الفقهية الكويتية (١/ ١٠٢ – ١٠٤، ٢٦/ ٣٣١).

قلتُ: يظهر أن مذهب الشيخ المنعُ، ولأن الهدية رمزُ محبّة، ونحن مأمورون بمحبتهم.

الله ﷺ فيما أمّنَكَ اللهُ عليهِ منْ ذلكَ، ومنْ خيانتِكَ رسولَ الله ﷺ ما سألَكَ فيهِ منَ المودّةِ في قرابتِهِ وأهلِ بيتِهِ، فإنَّهُ وأهلَ بيتِهِ على السواءِ في مودّتِنا فيهمْ، فمنْ كَرِهَ أهلَ بيتِهِ فقدْ كَرِهَهُ، فإنّهُ ﷺ واحدٌ منْ أهلِ البيتِ، ولا يتبعّضُ حبُّ أهلِ البيتِ، فإنَّ الحبَّ ما تعلّقَ إلا بالأهلِ، لا بواحدٍ بعينِه، فاجعلْ بالَكَ، واعرفْ قدرَ أهلِ البيت، فمنْ خانَ أهلَ البيتِ فقد خانَ رسولَ الله ﷺ، ومنْ خانَ ما سنَّهُ رسولُ الله ﷺ فقدْ خانَهُ ﷺ في سنّتِهِ.

ولقدْ أخبرني الثقةُ عندي بمكةَ قالَ: كنتُ أكرَهُ ما تفعلُهُ الشرفاءُ بمكةَ في الناسِ فرأيتُ في النومِ فاطمةَ بنتَ رسولِ الله ﷺ وهيَ معرضةٌ عنّي فسلمتُ عليها وسألْتُها عن إعراضِها، فقالتْ: إنَّكَ تقعُ في الشرفاءِ! فقلتُ لها: يا ستّي ألا تَرينَ إلى ما يفعلونَ في الناس؟! فقالتْ: أليسَ همْ بنيَّ؟! فقلتُ لها: منَ الآن، وتبتُ، فأقبلتْ عليَّ، واستيقظتُ.

فلا تَعدِلْ بأهلِ البيتِ خَلْقًا ... فأهلُ البيتِ همْ أهلُ السيادةْ
فبغضُهُمُ منَ الإنسانِ خسرٌ ... حَقيقيٌّ وحبُّهُمُ عبادَةْ[1]

• بعدَما ذَكرَ مسألةً تُنسبُ إلى الامامِ جعفرٍ الصادقِ ﷺ وبيَّنَ

---

١) الفتوحات المكية (١١ / ٢٧).

أنَّ الوهْمَ منَ الناقِلِ قال:

... فهذا هوَ الذي يَليقُ بمقامِهِ ورتبتِهِ؛ فإنّهُ أجلُّ منْ أنْ يَجريَ عليهِ لسانُ ذَنْبٍ، فإنّي -وإنْ كنتُ من بعضِ حسناتِهِ- فإني لا أقولُ بهذا، فأحرَى مثْل ذلكِ السيد المجتبى حسَبًا وعلمًا[1].

•... وعلى هذا جرى أهلُ البدَعِ والأهواءِ، فإنَّ الشياطينَ ألقَتْ إليهمْ أصلًا صحيحًا لا يَشكُّونَ فيه، ثُمَّ طَرأتْ عليهم التلبيساتُ مِنْ عَدمِ الفهمِ حتى ضلوا، فيُنسَبُ ذلكَ إلى الشيطانِ بحكمِ الأصل، وَلو عَلِموا إنَّ الشيطانَ في تلكَ المسائلِ تلميذٌ لهمْ يَتعلَّمُ منهُمْ، وأكثرُ ما ظَهَرَ ذلكَ في الشيعةِ، ولا سيّما في الإماميّةِ منهم، فدخلَتْ عليهمْ شياطينُ الجِنِّ أوَّلًا بِحُبِّ أهلِ البيتِ واستفراغِ الحُبِّ فِيهمْ، ورَأَوا أنَّ ذلكَ مِنْ أسنى القُرُباتِ إلى الله -وكذلكَ هوَ لَوْ وَقفُوا ولا يَزيدونَ عليه-، إلا أنّهم تَعدّوا مِنْ حبِّ أهلِ البيتِ إلى طريقينِ، منهمْ مَنْ تعدّى إلى بغضِ الصحابةِ وسبِّهمْ حيثُ لَمْ يُقدِّموهمْ، وتَخيَّلوا أنَّ أهلَ البيتِ أولى بهذهِ المَناصبِ الدنيويّةِ، فكانَ منهمْ ما قد عُرِفَ واستفاضَ، وطائفةٌ زادتْ إلى سَبِّ الصحابةِ القَدْحَ في رسولِ الله ﷺ وفي جبريلَ عليه السلام وفي اللهِ جلَّ جلالُه حيثُ لمْ يَنصُّوا على رتبَتِهِمْ

---

١) رسائل ابن عربي، كتاب الميم والواو والنون (ص ٨٦).

وتَقديمِهِمْ في الخلافَةِ للنّاسِ، حتى أنشدَ بعضُهمْ:

ما كانَ مَنْ بَعَثَ الأمينَ أَمِيْنا[1] .....

وهذا كلُّهُ واقعٌ من أصلٍ صحيحٍ، وهو حبُّ أهلِ البيتِ، أنتَجَ في نظرِهِمْ فاسِدًا فضَلُّوا وأَضَلُّوا، فانظُرْ ما أدّى إليهِ الغلوُّ في الدين، أخرجَهمْ عن الحدِّ فانعَكَسَ أمرُهمْ إلى الضدِّ، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧][2].

١) لم أقف عليه ولا على ناظمه.

٢) الفتوحات المكية (٢ / ١٢٦).

تعظيم الصحابة رضي الله عنهم

• حبُّ الصحابةِ -رضيَ اللهُ عنهم أجمعين- ولا سبيلَ إلى تجريحِهِمْ البتّةَ، ولا الطعنِ فيهم، ولا تفضيلِ أحَدٍ منهمْ على الآخرِ إلا بِمَا فضّلَ رَبُّهُ في كتابِهِ العَزيز، أو على لسانِ نبيِّهِ ﷺ (١).

• ليسَ بينَ محمَّدٍ ﷺ وأبي بكرٍ رجلٌ (٢).

• أرفعُ الأولياءِ أبو بكرٍ ﷺ (٣).

• لَمْ يحكمْ أحدٌ منَ الأولياءِ ولا قامَ فيه مثلُ هذا المقامِ مثلُ أبي بكرٍ الصديقِ إلا مَنْ لا أعرفُهُ، فإنَّه ﷺ ما ظهرَ قطُّ عليهِ ممّا كانَ عليهِ في باطنِهِ منَ المعرفةِ شيءٌ لقوّتِهِ إلا يومَ ماتَ رسولُ الله ﷺ، وذُهِلَتِ الجماعةُ وقالوا ما حُكِيَ عنهمْ إلا الصديقَ، فإنّ اللهَ تعالى وفّقَهُ لإظهارِ القوّةِ التي أعطاهُ، لِكونِ الله أهّلَهُ دونَ الجماعةِ للإمامةِ والتقدُّمِ، والإمامُ لا بدَّ أنْ يكونَ صاحيًا، لا يكونُ سكرانَ، فقامتْ لهُ تلكَ القوّةُ في الدلالة على أنَّ اللهَ قد جعلَهُ مقدَّمَ الجماعةِ في الخلافةِ

---

١) مجموعة رسائل ابن عربي، رسالة كنه ما لا بد للمريد منه (١/ ٥٢٤).

٢) الفتوحات المكية (٥ / ٤٤٤).

٣) رسائل ابن عربي، رسالة القربة (ص٧١).

عنْ رسولِ الله ﷺ في أمّتِهِ كالمعجزةِ للنبيِّ ﷺ في الدلالةِ على نبوّتِهِ، فلم يَتقدّمْ ولا حصَلَ الأمرُ الإلهيُّ إلا عنْ طوعٍ منْ جماعةٍ وكُرهٍ منْ آخرينَ، وذلكَ ليسَ نقصًا في إمامتِهِ كراهةُ مَنْ كَرِهَ؛ فإنّ ذلكَ هوَ المقامُ الإلهيُّ، واللهُ يقول: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥]، فإذا كانَ الخالقُ الذي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ يُسجدُ لَهُ كَرهًا، فكيفَ حالُ خليفتِهِ ونائبِهِ في خلقِهِ وهمُ الرسلُ!؟ فكيفَ حالُ أبي بكرٍ وغيرِه؟! فلا بدَّ منْ طائعٍ وكارهٍ يدخلُ في الأمرِ على كرهٍ؛ لِشبهةٍ تقومُ عندَهُ إذا كان ذا دِينٍ، أو هوَى نفسٍ إذا لم يكنْ لَهُ دِينٌ، فأمّا مَنْ كرِهَ إمامتَهُ منَ الصحابةِ رضيَ الله عنهم فما كانَ عن هوى نفسٍ، نُحاشيهمْ منْ ذلكَ على طريقِ حسْنِ الظنِّ بالجماعةِ، ولكنْ كانَ لشبهةٍ قامتْ عندَهمْ، رأَى مَنْ رأى ذلكَ أنَّهُ أحقُّ بِهَا منهُ في رأيِهِ وما أعطتْهُ شبهتُهُ[1].

•... كأبي بكر الصديق معَ رسولِ الله ﷺ حينَ ماتَ رسولُ الله ﷺ، فما بقيَ أحدٌ إلا اضطربَ وقالَ ما لا يُمكنُ أنْ يُسمعَ، وشَهدَ على نفسِهِ في ذلكَ اليومِ بقصورِهِ وعدمِ معرفتِهِ برسولِهِ الذي اتبعَهُ إلا أبا بكرٍ، فإنّهُ ما تغيَّرَ عليهِ الحالُ؛ لِعلمِهِ بِمَا تَمَّ وما

---

١) الفتوحات المكية (٧/ ٣٨١).

هوَ الأمرُ عليه، فصعدَ المنبرَ، وقال قارئًا: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ﴾ الآية [آل عمران: ١٤٤]، فتراجعَ منْ حكَمَ عليهِ وهْمُهُ وعرَفَ الناسُ حينئذٍ فضْلَ أبي بكرٍ على الجماعةِ، فاستحقَّ الإمامةَ والتقديمَ، فما بايعَهُ منْ بايعَهُ سدًى، وما تخلّفَ عن بيعتِهِ إلا منْ جهِلَ منهُ ما جهِلَ أيضًا منْ رسولِ الله ﷺ، أو منْ كان في محلِّ نظرٍ في ذلكَ، أو متأوّلًا، فإنّهُ ﷺ قد شهدَ لهُ رسولُ الله ﷺ في حياتِهِ بفضلِهِ على الجماعةِ بالسرِّ الذي وقَرَ في صدرِهِ، فظهَرَ حكمُ ذلكَ السرِّ في ذلكَ اليومِ، وليسَ إلا ما ذكرْناهُ، وهوَ استيفاءُ مقامِ العبودةِ[1].

• قالَ ﷺ في عمرَ بنِ الخطابِ يذكرُ ما أعطاهُ اللهُ من القوّةِ: (يا عمرُ ما لقيَكَ الشيطانُ في فجٍّ إلا سلكَ فجًّا غيرَ فجِّك)[2] فدلَّ على

---

١) الفتوحات المكية (٩/ ١٨٨).

٢) صحيح البخاري (٤/ ١٢٦)، برقم (٣٢٩٤): عن سعد بن أبي وقاص، قال: استأذن عمر على رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه، عالية أصواتهن، فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله، قال: عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب. قال عمر: فأنت يا رسول الله كنت أحق أن يهبن، ثم قال: أي عدوات أنفسهن،

عصمتِهِ بشهادةِ المعصومِ، وقد علمْنا أنَّ الشيطانَ ما يسلكُ قطُّ بِنا إلا إلى الباطلِ وهوَ غيرُ فجِّ عمرَ بنِ الخطابِ، فما كانَ عمرُ يَسلكُ إلا فجاجَ الحقِّ بالنصِّ، فكانَ ممّنْ لا تأخذُهُ في اللهِ لومةُ لائمٍ في جميعِ مسالِكِهِ[١].

• أصحابُ النبيِّ ﷺ فازوا بالمقامِ العليِّ، هنا وفي دارِ السلام، أعلى درجاتِ القُرْبةِ التحقّقُ في الإيمانِ بالصحبةِ، لا يَبلغُ أحدُنا مُـدَّ أحدِهمْ ولا نصيفَهُ[٢]، ولا يصلحُ أنْ يكونَ وَصيفَه[٣].

• إيّاكَ والخوضَ فيما شَجَرَ بينَ الصحابةِ، وَلْتُجِلَّهمْ كلَّهم عن آخرِهمْ، ولا سبيلَ إلى تجريحِ واحدٍ منهمْ، فعنهمْ نأخذُ الدينَ الذي نعبدُ اللهَ بهِ، وعامِلْهمْ بالعَدالةِ في الأخذِ عنهمْ، ولا تَتهمْهمْ؛ فهمْ

أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ؟ قلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان قط سالكًا فجًّا إلا سلك فجًّا غير فجك.

١) الفتوحات المكية (١/ ٦٠٣-٦٠٤).

٢) صحيح البخاري (٥/ ٨)، برقم (٣٦٧٣): «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد، ذهبًا ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه».

٣) الفتوحات المكية (١٢/ ١٣٠).

خيرُ القرونِ[١].

• عزمْنا أنْ لا نذكرَ ما شجَرَ بينَ الصحابةِ منْ قبيحِ القولِ والفعلِ؛ لِمَا يَحصلُ في القلوبِ الضعيفةِ من ذلك[٢].

١) الفتوحات المكية (١٢/ ٥٨٦ -٥٨٧).

٢) محاضرة الأبرار ومسامرات الأخيار (١ / ٣٠٩).

رجال الله ثلاثة

• اعلَمْ -وفقَّكَ اللهُ- أنَّ رجالَ الله ثلاثةٌ لا رابعَ لَهُمْ، رجالٌ غلَبَ عليهِمُ الزهدُ والتبتّلُ والأفعالُ الظاهرةُ المحمودةُ كلُّها، وطهَّروا أيضًا بواطِنَهُمْ من كلِّ صفةٍ مذمومةٍ قدْ ذَمَّهَا الشارعُ، غيرَ أنَّهُمْ لا يَرونَ شيئًا فوقَ ما همْ عليهِ منْ هذِهِ الأعمالِ، ولا معرفةَ لَهُمْ بالأحوالِ ولا المقاماتِ ولا العلومِ الوَهْبيةِ اللدنّيّةِ ولا الأسرارِ ولا الكشوفِ ولا شيئًا مِمّا يَجِدُهُ غيرُهمْ، فهؤلاءِ يُقالُ لهم: العُبَّادُ، وهؤلاءِ إذا جاءَ إليهمْ أحدٌ يَسألُهُمُ الدعاءَ ربَّما انتهرَهُ أحدُهم أو يقولُ لهُ: أيُّ شيءٍ أكونُ أنَا حتى أدعوَ لكَ؟! وما منزلَتِي؟! حذرًا أنْ يَتطَرَّقَ إليهمُ العجبُ، وخوفًا منْ غوائِلِ النفْسِ؛ لِئَلّا يَدخلَهُ الرياءُ في ذلكَ. وإنْ كانَ منهمْ أحدٌ يَشتغلُ بقراءةٍ فكتابُه مِثْلُ (الرعاية) للمحاسبي[1] وما يَجرِي مَجراهُ، والصنفُ الثاني فوقَ هؤلاءِ يَرونَ الأفعالَ كلَّها لله، وأنَّه لا فِعْلَ لَهُمْ أصلًا فزَالَ عنهمُ الرياءُ جملةً واحدةً، وإذا سَألتَهُمْ في شيءٍ مِمّا يَحذرُهُ أهلُ الطريقِ يَقولونَ: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأنعام: ٤٠]، ويقولون: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعام: ٩١]، وهمْ مِثْلُ العُبّادِ في الجَدِّ والاجتهادِ والورعِ والزهدِ والتوكّلِ

---

١) الرعاية لحقوق الله، للحارث المحاسبي (ت٢٤٣هـ) وهو مطبوع.

وغيرِ ذلكَ، غيرَ أنَّهمْ معَ ذلكَ يَرونَ أَنَّ ثَمَّ شيئًا فوقَ ما هم عليهِ منَ الأحوالِ والمقاماتِ والعلومِ والأسرارِ والكشوفِ والكراماتِ فتَتَعَلَّقُ هِمَمُهُمْ بِنيلِها، فإذا نَالُوا شيئًا منْ ذلكَ ظهَرُوا بهِ في العامَّةِ منَ الكراماتِ؛ لِأَنَّهمْ لا يَرونَ غيرَ اللهِ، وهمْ أهلُ خُلُقٍ وفتوّةٍ، وهذا الصنفُ يُسمَّى: الصوفيّة. وهمْ بالنَّظَرِ إلى الطبقةِ الثالثةِ أهلُ رُعونَةٍ وأصحابُ نفوسٍ، وتلامذتُهُمْ مِثْلُهُمْ أصحابُ دَعاوَى يشمّرونَ على كلِّ أَحَدٍ منْ خَلْقِ اللهِ، ويُظهِرونَ الرئاسةَ على رجالِ اللهِ. والصنفُ الثالثُ: رجالٌ لا يَزيدونَ على الصلواتِ الخمسِ إلا الرواتبَ، لا يَتميّزونَ عنِ المؤمنينَ المُؤدّينَ فرائضَ اللهِ بِحالةٍ زائدةٍ يُعرَفُونَ بِها، يَمشونَ في الأسواقِ، ويَتكلّمونَ معَ الناسِ، لا يُبصرُ أحدٌ منْ خلْقِ اللهِ واحِدًا منهمْ يَتميّزُ عن العامّةِ بشيءٍ زائدٍ منْ عَملٍ مفروضٍ أو سُنّةٍ مُعتادَةٍ في العامّةِ، قَدِ انفردُوا معَ اللهِ راسخينَ لا يَتزَلْزَلُونَ عن عُبوديَّتِهِمْ معَ اللهِ طرْفَةَ عينٍ ولا يَعرفونَ للرئاسةِ طعمًا؛ لاستيلاءِ الربوبيةِ على قلوبِهِمْ وذلَّتِهِمْ تَحْتَها، قدْ أعلَمَهُمُ اللهُ بالمواطنِ وما تَستحِقُّهُ منَ الأعمالِ والأحوالِ، وهمْ يُعاملونَ كلَّ موطنٍ بِمَا يَستحقُّهُ قدِ احتجبُوا عنِ الخَلْقِ، واستتروا عنهُمْ بسترِ العوائدِ؛ فإنَّهُمْ عَبيدٌ خالِصونَ مُخْلصُون لِسيِّدِهمْ، مُشاهِدونَ إيّاهُ على الدوامِ في أكْلِهِمْ وشُربِهِمْ ويقظَتِهِمْ ونومِهِمْ وحديثهمْ معَهُ في الناسِ، يَضَعونَ

الأسبابَ مواضِعَها، ويَعرفوَن حِكْمَتَها... ثُمَّ قالَ: فهؤلاءِ همُ المَلَامِيّةُ، وهمْ أرفعُ الرجالِ، وتلامذتُهم أكبرُ الرجالِ، يَتقَلَّبُونَ في أطوارِ الرجوليّةِ، وَليسَ ثَمَّ مَنْ حازَ مَقامَ الفتوّةِ والخُلُقِ معَ اللهِ دونَ غيرِهِ سوَى هؤلاءِ، فَهمُ الذينَ حازُوا جميعَ المنازلِ، وَرَأَوا أنَّ اللهَ قدِ احتجبَ عنِ الخلْقِ في الدنيا، وهمُ الخَوَاصُّ لَهُ فاحتجبُوا عنِ الخلقِ لِحجابِ سيّدِهِمْ، فهمْ من خلْفِ الحجابِ لا يَشهدونَ في الخلْقِ سوَى سيّدِهمْ، فإذا كان في الدارِ الآخرةِ وتجلَّى الحقُّ ظهرَ هؤلاءِ هناكَ لِظهورِ سيّدِهمْ، فمكانَتُهُمْ في الدنيا مجهولةُ العينِ، فالعُبّادُ مُتميّزونَ عندَ العامّةِ بِتقشُّفِهمْ وتباعدِهمْ عنِ الناسِ وأحوالِهِمْ وتَجنُّبِ معاشرَتِهِمْ بالجسْمِ، فلَهُمُ الجزاءُ، والصوفيةُ متميّزونَ عندَ العامّةِ بالدعاوَى وخرقِ العوائدِ، منَ الكلامِ على الخواطرِ وإجابةِ الدعاءِ والأكْلِ مِنَ الكَونِ وكلِّ خَرْقِ عادةٍ، لا يَتحاشونَ منْ إظهارِ شيءٍ مِمّا يُؤدّي إلى معرفةِ الناسِ بِهِ قُرْبَهُمْ منَ اللهِ، فإنَّهُمْ لا يُشاهدونَ في زعمِهِمْ إلا اللهَ، وغابَ عنهُمْ عِلْمٌ كبيرٌ، وهذا الحالُ الذي همْ فيهِ قليلُ السلامةِ منَ المكرِ والاستدراجِ، والملاميّةُ لا يَتميّزونَ عن أحدٍ منْ خلْقِ اللهِ بشيءٍ، فهمُ المجهولونَ، حالُهُمْ حالُ العَوامِّ[1].

---

١) الفتوحات المكية (٧/ ٤٣٦- ٤٣٨).

منزلة علماء الحديث الشريف

• لِلوارثةِ حظٌّ منَ الرسالةِ، ولهذا قيلَ في معاذٍ وغيرِه: رسولُ رسولِ الله، وما فازَ بهذهِ الرتبةِ وَيُحشرُ يَومَ القيامةِ معَ الرسلِ إلا المحدِّثونَ الذينَ يَروونَ الأحاديثَ بالأسانيدِ المتّصلةِ بالرسولِ عليه السلام في كلِّ أمّةٍ، فلهمْ حظٌّ في الرسالةِ، وهمْ نَقَلَةُ الوَحْيِ، وهمْ ورَثَةُ الأنبياءِ في التبليغِ. والفقهاءُ إذا لم يكنْ لهمْ نَصيبٌ في روايةِ الحَديثِ فليستْ لهمْ هذه الدرجةُ، ولا يُحشرونَ معَ الرسل، بل يُحشرونَ في عامة الناسِ، ولا يَنطلقُ اسمُ العلماءِ إلا على أهلِ الحَديثِ، وهمُ الأئمةُ على الحقيقةِ. وكذلكَ الزهّادُ والعبّادُ وأهلُ الآخرةِ مَنْ لم يَكنْ منْ أهلِ الحديثِ مِنهُمْ كانَ حكمُهُ حُكْمَ الفقهاءِ، لا يَتميّزونَ في الوراثة، ولا يُحشرونَ معَ الرسل، بل يُحشرونَ معَ عمومِ الناسِ، ويَتميّزونَ عنهمْ بأعمالِهِمْ الصالِحةِ لا غيرُ[1].

١) الفتوحات المكية (٧ / ٤٧٦).

من أخبار الشيخ مع بعض الملوك وبعض مسائل أهل الذمة[١]

• كانت لي كلمةٌ مسموعةٌ عندَ بعضِ الملوكِ، وهوَ الملكُ الظاهرُ صاحبُ مدينةِ حلبَ رحمَه اللهُ غازي ابنُ الملكِ الناصرِ لدينِ اللهِ صلاحِ الدينِ يوسفَ بنِ أيوبَ[٢]، فرَفَعْتُ إليهِ من حوائجِ الناسِ في مجلسٍ واحدٍ مِائَةً وثمانِ عشَرَ حاجةً قضاها كلَّها، وكان منها: أنّي كلمتُه في رجلٍ أظهَرَ سِرَّهُ وقَدَحَ في مُلْكِه، وكانَ من جملةِ بطانَتِهِ، وعَزَمَ المَلكُ على قتْلِهِ. وأوصى بِهِ نائبَهُ في القلعةِ بدرَ الدينِ ابن دمور[٣] أنْ يُخفيَ أمرَهُ حتى لا يَصلَ إليَّ حديثُهُ، فوَصَلَني حديثُهُ، فلمّا كلَّمتُهُ في شأنِهِ أطْرَقَ وقال: حتى أُعَرِّفَ المولَى ذنبَ هذا المذكورِ، وأنه من الذنوب [التي][٤] لا تَتَجاوزُ الملوكُ عن مثلِهِ، فقلتُ له: يا هذا، تخيَّلتُ أنَّ لكَ همّةَ المُلوك، وأنّك سلطانٌ. واللهِ ما أعلَمُ أنّ في

---

١) مما يذكره الشيخ من أحكام أهل الذمة يتبين كذب من يزعمون أن الشيخ يدعو إلى وحدة الأديان، عياذًا بالله، وحاشا الشيخ!

٢) توفي سنة (٦١٣هـ). ينظر الكامل في التاريخ (١٠/ ٢٩٦).

٣) لم أقف على ترجمته.

٤) في المطبوع: الذي.

العالَمِ ذنبًا يُقاوم عَفْوِي، وأنا واحدٌ من رعيَّتِكَ، وكيفَ يُقاومُ ذنبُ رجلٍ عَفْوَك في غيرِ حدٍّ منْ حدودِ الله؟! إنّكَ لَدنِيءُ الهمّةِ؛ فخَجِلَ وسرَّحَهُ وعَفَا عنه. وقالَ لِي: جزاكَ اللهُ خيرًا مِنْ جليسٍ، مِثلُكَ مَنْ يُجالسُ الملوكَ، وبعدَ ذلكَ المجلسِ ما رَفَعْتُ إليهِ حاجةً إلا سارَعَ في قضائِها لِفَورِهِ مِنْ غيرِ تَوقُّفٍ كانتْ ما كانت[1].

• اعلَمْ أنَّهُ لّما غلَبَتِ الأهواءُ على النفوسِ، وطلَبَتِ العُلماءُ المراتبَ عندَ المُلوكِ تَركوا المحجّةَ البيضاءَ، وجَنحوا إلى التأويلاتِ البَعيدةِ؛ ليُمشُّوا أغراضَ الملوكِ فيما لَهُمْ فيه هوَى نفْسٍ؛ لِيستندُوا في ذلكَ إلى أمرٍ شرعيٍّ!! معَ كونِ الفقيهِ ربَّما لا يَعتقدُ ذلكَ ويُفتي بِهِ، وقدْ رأَيْنا منهُمْ جماعةً على هذا من قُضاتِهِمْ وفُقهائِهِمْ. ولقدْ أخبَرَنِي المَلكُ الظاهرُ غازي ابنُ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ يوسفَ بنِ أيوبَ وقدْ وقعَ بيني وبينَهُ في مِثْلِ هذا كلامٌ، فنادَى بمملوكٍ وقالَ لهُ: جِئْني بالحُرْمدان[2]، فقلتُ لهُ: ما شأنُ الحُرْمدان؟ قال: أنتَ تُنكرُ عليَّ ما يَجري في بلدِي ومَملكتِي منَ المُنكراتِ والظلْمِ، وأنا -واللهِ- أعتقدُ مثلَ ما تَعتقِدُ أنتَ فيهِ مِنْ أنَّ ذلكَ كلَّه منكرٌ، ولكنْ-

---

١) الفتوحات المكية (١٢ / ٦٨٦).

٢) أي: الحقيبة.

واللهِ- يا سيدي ما منهُ مُنْكرٌ إلا بفتوى فقيهٍ، وخطُّ يدِهِ عندِي بجوازِ ذلكَ، فعليهمْ لعنةُ اللهِ، ولقدْ أفتانِي فقيهٌ هوَ فلانٌ -وعيَّنَ لِيَ أفضلَ فقيهٍ عندَهُ في بلدِهِ في الدينِ والتقشّفِ- بأنَّهُ لا يجبُ عليَّ صومُ شهرِ رمضانَ هذا بعينِهِ! بلِ الواجبُ عليَّ شهرٌ في السنةِ، والاختيارُ لي فيهِ، أيّ شهرٍ شئتُ منْ شهورِ السَّنَةِ. قالَ السلطانُ: فلعنْتُهُ في باطنِي ولم أُظهِرْ لَهُ ذلكَ، وهوَ فلانٌ، وسمَّاهُ لِي. رحِمَ اللهُ جميعَهمْ[1].

• منْ رسالةٍ بعثَ بها إلى بعضِ ملوكِ الإسلامِ وهوَ الملكُ كِيكاوُسُ صاحبُ بلادِ الرومِ[2] جوابَ كتابٍ كتبَه إليهِ سنةَ تسعٍ وستِّمائةٍ:

احذرْ أنْ أراكَ غدًا بينَ أئمةِ المسلمينَ منْ أخسرِ الناسِ أعمالًا ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٤]، ولا يكونُ شكرُكَ لِمَا أنعَمَ اللهُ بِهِ عليكَ منِ استواءِ مُلكِكَ بكفرانِ النعَمِ وإظهارِ المعاصي وتسليطِ النوّابِ السوءِ بقوّةِ

---

١) الفتوحات المكية (٧/ ٥٢٨ - ٥٢٩).

٢) الملك الغالب عزّ الدين كِيكاوُسُ بنُ كَيْخِسْرُو بنِ قَلْجِ أَرْسِلَانْ، صاحب قونيَةَ، وأقْصَرا ومَلَطْيَةَ وما بينهما. توفي سنة (٦٦١هـ) ينظر الكامل في التاريخ (١٠/ ٣٢٩).

سلطانِكَ على الرعيّةِ الضعيفةِ؛ فإنَّ اللهَ أقوى منكَ، فيتحكّمونَ فيهمْ بالجهالةِ والأغراضِ وأنتَ المسؤولُ عن ذلكَ. فيا هذا، قد أحسنَ اللهُ إليكَ وخَلَعَ خِلَعَ النيابةِ عليكَ، فأنتَ نائبُ اللهِ في خلقِهِ وظلُّهُ الممدودُ في أرضِهِ، فأنصِفِ المظلومَ منَ الظالمِ، ولا يَغرنَّكَ أنَّ اللهَ وسّعَ عليكَ سلطانَكَ وسوّى لكَ البلادَ ومهّدَها مع إقامتِكَ على المخالفةِ والجَورِ وتعدّي الحدودِ؛ فإنَّ ذلكَ الاتساعَ معَ بقائكَ على مثلِ هذهِ الصفاتِ إمهالٌ منَ الحقِّ لا إهمالٌ، وما بينَكَ وبينَ أنْ تقفَ على أعمالِكَ إلا بلوغُ الأجلِ المسمّى وتصلُ إلى الدارِ التي سافرَ إليها آباؤُكَ وأجدادُكَ، ولا تكنْ منَ النادمينَ فإنَّ الندَمَ في ذلكَ الوقتِ غيرُ نافعٍ، يا هذا، ومنْ أشدِّ ما يمرُّ على الإسلام والمسلمينَ ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤] رفْعُ النواقيسِ والتظاهرُ بالكفرِ وإعلاءُ كلمةِ الشركِ ببلادِكَ ورفْعِ الشروطِ التي اشترطَها أميرُ المؤمنينَ عمرُ بنُ الخطابِ ﷺ على أهلِ الذمّةِ منْ أنّهم لا [يحدثوا][1] في مدينتِهِمْ ولا ما حولَها كنيسةً ولا ديرًا ولا قِلّيّة[2] ولا صومعةَ راهبٍ، ولا [يجددوا] ما

---

١) ما بين الأقواس من الأفعال في هذا النص كلها في المطبوع بحذف النون! وله وجهٌ في العربية؛ لذا تركته كما هو.

٢) القلية: شبه الصومعة. الفائق في غريب الحديث (٣/ ٢٢٠).

خربَ منها، ولا يمنعوا كنائسَهمْ أنْ يَنزلَها أحدٌ منَ المسلمينَ ثلاثَ ليالٍ يُطعمونَهمْ، ولا يُؤوا جاسوسًا، ولا يَكتموا غشًّا للمسلمينَ، ولا يُعلّموا أولادَهمُ القرآنَ، ولا يُظهروا شركًا، ولا يَمنعوا ذوي قرباتِهمْ منَ الإسلامِ إنْ أرادوه، وأنْ يوقِّروا المسلمينَ، وأنْ يَقوموا لَهمْ من مجالِسهمْ إذا أرادوا الجلوسَ، ولا يتشبّهوا بالمسلمينَ في شيءٍ منْ لباسِهمْ في قَلَنْسُوَةٍ ولا عمامةٍ ولا نَعلينِ ولا فرقِ شعرٍ، ولا يَتسمّوا بأسماءِ المسلمينَ، ولا يَتكنّوا بِكُناهُمْ، ولا يَركبوا سرْجًا ولا يَتقلَّدوا سيفًا، ولا يتّخذوا شيئًا منْ سلاحٍ، ولا يَنقشُوا خواتيمَهمْ بالعربيّةِ، ولا يَبيعوا الخمورَ، وأنْ يَجزّوا مقادِمَ رؤوسِهِمْ، وأنْ يَلزموا زيَّهُمْ حيثُ ما كانوا، وأنْ يَشدّوا الزنانيرَ على أوساطِهمْ ولا يُظهِروا صليبًا ولا شيئًا من كُتُبِهِمْ في طريقِ المسلمينَ، ولا يُجاوروا المسلمينَ بموتاهمْ، ولا يَضربوا بالناقوسِ إلا ضربًا خفيًّا، ولا يَرفعوا أصواتَهمْ بالقراءةِ في كنائِسهمْ في شيءٍ من حضرةِ المسلمينَ، ولا يخرجوا سعانين[1]، ولا يَرفعوا معَ أمواتِهمْ أصواتَهمْ، ولا يُظهروا النيرانَ معهمْ، ولا يَشتروا منَ الرقيقِ ما جَرَتْ عليهِ سهامُ المسلمينَ،

---

١) السعانين: عيدهم الأول قبل الفصح بأسبوع يخرجُون بصلبانهم. الفائق في غريب الحديث (٣/ ٢٢٠)

فإنْ خالفُوا شيئًا ممّا شُورِطوا عليهِ فلا ذمةَّ لَهَمْ، وقد حلَّ للمسلمينَ منهمْ ما يَحِلُّ منْ أهلِ المعاندَةِ والشقاقِ. فهذا كتابُ الإمامِ العادلِ عمرَ بنِ الخطابِ ﷺ. وقد ثبتَ عن رسولِ الله ﷺ أَنَّهُ قال: «لا تُبنى كنيسةٌ في الإسلامِ ولا يُجَدَّدُ ما خربَ منها»[١]. فتدبَّرْ كتابي ترشدْ إنْ شاءَ اللهُ ما لزمتَ العملَ بهِ، والسلامُ[٢].

• لا يَستميلونكَ أهلُ الذمّةِ إلى ما يَتبرّكونَ بهِ في دينهِمْ؛ فإنَّ ذلكَ من الأمورِ المُهلكةِ عندَ الله، ولقد رأيتُ بدمشقَ أكثرَ نسائِها يفعلْنَ ذلكَ ورجالُهُنَّ يُساعدونَهنَّ في ذلكَ، وهو أنّهمْ يأخذونَ الصبيانَ الصغارَ ويَحملونهم إلى الكنيسةِ حتى يبرّكَ القسُّ عليهِ ويرشّونَهمْ بماءِ المعموديّةِ بنيّةِ التبرّكِ!!! وهذا قرينُ الكفرِ بلْ هوَ الكفرُ عينُهُ، وما يَرتضيهِ مسلمٌ ولا الإسلامُ، ويُقرّبونَ القرابينَ لذلكَ[٣].

• إذا لقيتَ ذمّيًا فلا تَبدَأْه بالسلامِ، واضْطَرّهُ إلى أضيقِ الطريقِ[٤].

• طلبني بعضُ السلاطينِ للولايةِ وعزَمَ عليَّ فيها، فامتنعتُ

---

١) شروط النصارى لابن زبر الربعي (ص: ١٩)، برقم (٢).

٢) الفتوحات المكية (١٢ / ٧١٠-٧١٢).

٣) الفتوحات المكية (١٢/ ٥٣٦).

٤) الفتوحات المكية (١٢ / ٥٧١).

عليه، إلى أنْ قالَ: لا أعزلُكَ، وعليَّ العهدُ بذلكَ، قلتُ: الأحوالُ بروقٌ تلمعُ ولا تقم، وهذه الحالةُ منك غيرُ دائمةٍ، ولا سيّما إذا جاء سلطانُ نقضِها[1].

الكتب النادرة التي توقع الأزمة

١) محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار (٢/ ١١).

نصائح ووصايا

• إنْ كنتَ ممّن يَعرفُ يَكتبُ فاجعلْ على نفسِك وِرْدًا من القرآنِ في المصحفِ، تُمسِكُه في حجْرِكَ وتُلقي يدَك اليسرى تحتَ المصحفِ، وتَمشي بيدِكَ اليمنى على حروفِه وأنتَ تَنظرُ، وتَرفعُ صوتَك بحيثُ تُسمعُ نفسَك، وترتّلُ القرآنَ، وتَسألُ في السورةِ التي تُوجبُ السؤالَ فيها، وتعتبرُ في الآيةِ التي توجبُ الاعتبارَ.. وتَعاملْ مع كلِّ آيةٍ بما يَليقُ بها، وما تدلُّ عليه من تلك الصفات، فانظرْ ما عندَك منها وما فقدتَ من ذلك، فاشكرْ على ما عندك، وما فاتَك حصِّلْه. وإذا قرأتَ وصفَ المنافقين والكافرين فانظرْ هلْ فيكَ من تلك الصفاتِ شيءٌ أم لا[1].

• لا تغفلْ عن الصلاة على رسولِ الله ﷺ إذا ذكرتَه، أو ذُكرَ عندَك تأمنْ من البخل، فإنّه ثبتَ عنه ﷺ أنه قال «البخيلُ مَن ذُكرتُ عندَه فلمْ يُصلِّ عليَّ»[2] ولو لم يكنْ في ذلك إلا إطلاقُ البخلِ عليك، وهو من أذمِّ الصفاتِ وأرداها، ومعنى البخيلِ هنا: بخْلُه على نفسِه، فإنه قد ثبتَ فيمن صلّى على النبيِّ ﷺ مرةً صلى الله عليه عشرًا، فمن

---

١) مجموعة رسائل ابن عربي، رسالة كنه ما لا بد للمريد منه (١/ ٥٢٦).

٢) مسند ابن أبي شيبة (٢/ ٢٩٢)، برقم (٧٩١).

تركَ الصلاةَ على النبي ﷺ فقد بخلَ على نفسِه حيثُ حرمَها صلاةَ الله عليه عشرًا إذا صلى هو واحدةً فما زاد[١].

• ابْدَأْ بالسلامِ على مَنْ هوَ أكبرُ منكَ، وابدأْ بالسلامِ على الماشِي إنْ كنتَ راكبًا، وعلى القاعدِ إنْ كنتَ ماشيًا، ولقدْ جرَى لي معَ بعضِ الخلفاءِ رضيَ اللهُ عنهُ ذاتَ يومٍ، كنَّا نَمشِي ومعَنا جماعةٌ، وإذا بالخليفةِ مُقبِلٌ فتنحَّيْنا عن الطريقِ، وقلتُ لأصحابي: مَنْ بَدَأَهُ بالسلامِ أَرْذَلْتُ بِهِ عندَهُ، فلمَّا وَصَلَ وحاذانا بِفرَسِهِ انْتَظَرَ أنْ نُسلِّمَ عليهِ كما جَرَتْ عادةُ الناسِ في السلامِ على الخلفاءِ والملوكِ فلمْ نَفعلْ، فَنَظَرَ إلَيْنا وقالَ: سلامٌ عليكمْ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ، بصوتٍ جهيرٍ فقلْنا لَهُ بأجمَعِنا: وعليكَ السلامُ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ، فقالَ: جزاكمُ اللهُ عنِ الدِّينِ خَيرًا، وَشَكَرَنا على فِعْلِنا وانْصَرَفَ، فتعَجَّبَ الحاضرونَ[٢].

• إيَّاكَ أَنْ تُنزلَ أحدًا مِنَ اللهِ مَنزلةً لا تَعرِفُها لا بتزكيةٍ عِندَ اللهِ فيهِ، ولا بتَجريحٍ، إلا أنْ تكونَ على بصيرةٍ منَ اللهِ تعالى فيه، فإنَّ ذلكَ افتراءٌ على اللهِ، ولوْ صادفْتَ الحقَّ فقدْ أَسَأْتَ الأدَبَ، وهذا داءٌ عُضالٌ، بلْ حسِّنِ الظَّنَّ بِهِ وقلْ: فيمَا أحسَبُ وأظنُّ هوَ

---

١) الفتوحات المكية (١٢/ ٤٨٦).

٢) الفتوحات المكية(١٢ / ٥٤٠).

كذا وكذا ولا [أزكّي][١] على الله أحدًا. فهذا رسولُ الله ﷺ ولا يَدري ما يُفعلُ بهِ ولا بنا، بل يَتّبعُ ما يُوحى إليهِ[٢]، فما عُرِّفَ بهِ منَ الأُمُورِ عَرَفَها، ومَا لَمْ يُعَرَّفْ بِهِ منَ الأمورِ لَمْ يَعرِفْهُ، وكانَ فيهِ كَواحدٍ منَ الناسِ، فكمْ رجلٍ عظيمٍ عندَ الناسِ يأتِي يَومَ القيامةِ لا يَزِنُ عندَ اللهِ جناحَ بعوضةٍ[٣][٤].

• إيّاكَ والمِراءَ في القرآنِ فإنّهُ كفرٌ بنصِّ الحديثِ[٥]، وهوَ الخوضُ فيهِ بأنّهُ محْدثٌ أو قديمٌ، أو هلْ هذا المكتوبُ في المصاحفِ والمتلوُّ المتلفّظُ بهِ عينُ كلامِ اللهِ أو ما هوَ عينُ كلامِ اللهِ؟ فالكلامُ

---

١) في المطبوع: تزكي.

٢) قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩﴾ [الأحقاف: ٩].

٣) صحيح البخاري (٦/ ٩٣)، برقم (٤٧٢٩): عن رسول الله ﷺ قال: إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرءوا، ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥].

٤) الفتوحات المكية (١٢ / ٥٤١ - ٥٤٢).

٥) صحيح ابن حبان (١/ ٢٧٥)، برقم (٧٤): عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ، قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، والمراء في القرآن كفر (ثلاثًا)، ما عرفتم منه، فاعملوا به، وما جهلتم منه، فردوه إلى عالمه».

في مثلِ هذا والخوضُ فيهِ هوَ الخوضُ في آياتِ الله، وهذا هو المِراءُ والجدالُ في القرآنِ، الداخلُ في قولِهِ تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾[الأنعام: ٦٨][١].

• إيّاكَ والخُيلاءَ، وارفَعْ ثوبَكَ فوقَ كعبِكَ، أو إلى نصفِ ساقِكَ[٢][٣].

• إيّاكَ أنْ تَمدَحَ أحدًا في وجهِه فتخجلَهُ، وإذا مدَحَكَ أحدٌ في وجهِكَ فاحْثُ الترابَ في وَجهِهِ برِفْقٍ[٤]، وصورةُ حثْوِ الترابِ أنْ تأخذَ كفًّا من ترابٍ وتَرمِي بِهِ بينَ يديهِ، وتقول: ما عسى أنْ

---

١) الفتوحات المكية (١٢/ ٤٨٨ -٤٨٩).

٢) سنن أبي داود (٤/ ٥٩)، برقم (٤٠٩٣): قال رسول الله ﷺ: «إزرة المسلم إلى نصف الساق، ولا حرج - أو لا جناح - فيما بينه وبين الكعبين، ما كان أسفل من الكعبين فهو في النار، من جر إزاره بطرا لم ينظر الله إليه».

فالسنة أن لا يكون الثوبُ أسفل الكعبين، ما لم يكنْ عن خيلاء وتكبّر فإنه حينئذٍ محرمٌ.

٣) الفتوحات المكية (١٢/ ٤٧٢).

٤) مسند أحمد (٩/ ٤٩٦)، برقم (٥٦٨٤): عن عطاء بن أبي رباح قال: كان رجل يمدح ابن عمر قال: فجعل ابن عمر يقول: هكذا يحثو في وجهه التراب، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب.

يكونَ مَنْ خُلِقَ منْ ترابٍ؟!، ومَنْ أنا، وما قدْري؟! توبِّخُ بذلكَ نفسَكَ، وتعرِّفُ المادحَ بقدرِكَ وقدرِهِ، هكذا فلْتَحْثُ الترابَ في وجهِ المدّاحينَ[١].

• كتَبَ إليَّ شخصٌ من إخواني بكتابٍ يُعظِّمني فيهِ، بحيثُ أنْ لقَّبَني فيهِ بثلاثةٍ وستين لَقَبًا! فكتبتُ له: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]، وذكرتُ لهُ معَ هذا في جوابِ كتابِهِ أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «... لا أزكي على الله أحدًا، ولكن يقول: أحسبُه كذا، وأظنُّه كذا»[٢]، ويقولُ اللهُ تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢][٣].

• كنْ فقيرًا منَ (الله) كما أنتَ فقيرٌ إليهِ، فهوَ مثْلُ قولِهِ ﷺ: «وأعوذُ بكَ منكَ»[٤]. ومعنى فقرِكَ منَ (الله) أنْ لا يُشَمَّ منكَ رائحةٌ منْ روائحِ

---

١) الفتوحات المكية (١٢/ ٥٨٤).

٢) سنن ابن ماجه (٢/ ١٢٣٢)، برقم (٣٧٤٤): مدحَ رجلٌ رجلًا عندَ رسولِ اللهَّ صلَى الله عليه وسلَم، فقال رسولُ اللهَّ صلَى اللهُ عليه وسلَم: «ويْحَكَ قطعْتَ عُنُقَ صاحبِكَ، مِرَارًا» ثمَّ قال: إنْ كانَ أحدُكمْ مادحًا أخاهُ فلْيقلْ: أَحسِبُهُ ولا أُزَكِّي على اللهَّ أَحَدًا.

٣) الفتوحات المكية (١٠ / ١١٤).

٤) صحيح مسلم (١/ ٣٥٢)، برقم (٤٨٦): عن عائشة، قالت: فقدت رسول

الربوبيةِ، بل العبوديةُ المحضةُ، كما أنَّه ليسَ في جنابِ الحقِّ شيءٌ منَ العبوديةِ -ويَستحيلُ ذلكَ عليهِ فهوَ رَبٌّ مَحْضٌ- فكنْ أنتَ عبدًا مَحْضًا[١].

• متى قالتْ لكَ نفسُك: كنْ غنيًا بالله، فقدْ أمرتْكَ بالسيادةِ فقلْ لها: أنا فقيرٌ إلى الله، والى ما أفقرني اللهُ إليهِ؛ فإنَّ اللهَ أفقرني إلى الملحِ أنْ يكونَ في عَجيني[٢].

• إذا عصيتَ اللهَ تعالى بموضعٍ فلا تبرحْ من ذلكَ الموضعِ حتى تعمَلَ فيهِ طاعةً، وتقيمَ فيهِ عبادةً، فكما يَشهدُ عليكَ إنِ اُستُشهِدَ يَشهدُ لكَ، وحينئذٍ تَنتزحُ عنهُ، وكذلكَ ثوبُكَ إنْ عصيتَ اللهَ فيهِ فكنْ كما ذكرتُهَ لكَ اعبُدِ اللهَ فيهِ، وكذلكَ ما يُفارقُكَ منكَ منْ قصِّ شاربٍ وحلقِ عانةٍ وقصِّ أظفارٍ وتسريحِ شعْرٍ وتنقيةِ وسَخٍ، لا يفارقكَ شيءٌ من ذلكَ من بدنِكَ إلا وأنتَ على طهارةٍ وذكرِ اللهِ عز وجلّ، فإنَّه يُسألُ عنكَ كيفَ تركَكَ؟ وأقلُّ عبادةٍ تقدرُ

الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: اللهم أعوذُ برضاكَ من سخطكَ، وبمعافاتِك من عقوبتِك، وأعوذُ بكَ منكَ، لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ على نفسك.

١) الفتوحات المكية (١٢/ ٥١٢).

٢) الفتوحات المكية (١٢/ ٥١٢).

عليها عندَ هذا كلِّه أنْ تدعوَ اللهَ في أنْ يَتوبَ عليكَ عنْ أمرِهِ تعالى حتى تكونَ مُؤدّيًا واجبًا في امتثالِكَ أمرَ الله وهوَ قولُهُ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] فأمرَكَ أنْ تدعوَه، ثمَّ قالَ في هذهِ الآيةِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾[غافر:٦٠] يعني هنا بالعبادة: الدعاء، أي: منْ يستكبرْ عنِ الذلّةِ إليَّ والمسكنَةِ، فإنّ الدعاءَ سمّاه عبادةً، والعبادةُ ذلّةٌ وخضوعٌ ومسكنةٌ، ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠] أي: أذلاءَ، فإذا فَعلوا ما أُمِرُوا بهِ جازاهمُ اللهُ بدخولِ الجنةِ أعزّاءَ[1].

• إيَّاكَ وبغضَ منْ يَنصرُ اللهَ ورسولَهُ أو يُحبُّ اللهَ ورسولَهُ، ولقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ سنةَ تسعينَ وخمسمِائَةٍ في المنامِ بتلمسانَ وكانَ قد بلغني عن رجلٍ أنّه يقَعُ في الشيخِ أبي مدينَ وكان أبو مدينَ من أكابرِ العارفينَ، وكنتُ أعتقدُ فيه وكنتُ فيه على بصيرةٍ، فكرهتُ ذلكَ الشخصَ؛ لبغضِهِ في الشيخِ أبي مدينَ، فقالَ ليَ رسولُ الله ﷺ: لِمَ تكرَهُ فلانًا؟! فقلتُ: لبغضِهِ في أبي مدين، فقالَ لي: أليسَ يُحبُّ اللهَ ويُحبُّني؟! فقلتُ له: بلى يا رسولَ الله، إنّه يُحبُّ اللهَ ويُحبُّكَ، فقالَ لي: فَلِمَ بَغضتَهُ لِبغضِه أبا مدينَ وما أحببتَهُ لحبِّهِ اللهَ ورسولَهُ؟!

---

١) الفتوحات المكية (١٢ / ٤١٧).

فقلتُ له: يا رسولَ الله منَ الآنَ، إنّي والله زَلَلْتُ وغفلتُ، والآنَ فأنا تائبٌ، وهوَ مِن أحبِّ الناسِ إليَّ، فلقدَ نبّهْتَ ونصحتَ، صلى الله عليك. فلمّا استيقظتُ أخذتُ معيَ ثوبًا له ثمنٌ كثيرٌ أو نفقةٌ، لا أدري، وركبتُ وجئتُ إلى منزلِهِ فأخبرتُه بما جرى، فبكى وقَبِلَ الهديّةَ، وأخذَ الرؤيا تنبيهًا منَ الله، فزالَ عن نفسِهِ كراهتُه في أبي مدينَ وأَحبَّهُ، فأردتُ أنْ أعرفَ سببَ كراهتِهِ في أبي مدينَ مع قولِه بأنّ أبا مدين رجلٌ صالحٌ، فسألتُه فقالَ: كنتُ معَه ببجايةَ فجاءَتْه ضَحايا في عيدِ الأضحى فقَسَمَها على أصحابِهِ وما أعطاني منها شيئًا، فهذا سببُ كراهتي فيهِ ووقوعي، والآنَ قد تبتُ، فانظرْ ما أحسنَ تعليمَ النبيِّ ﷺ، فلقد كانَ رَفيقًا رَقيقًا[1].

• مَنْ صَحبَكَ لِمَا يَستفيدُهُ منكَ فلا تُعَوِّلْ عليهِ، فإنَّهُ يَنقضي بِتحصيلِ ما يَرجوهُ منكَ، وربَّما كَفَرَ تلكَ النعمةَ إذا أرادَ الفراقَ فكنْ منهُ على حذرٍ[2].

• إيّاكَ ومعاداةَ أهلِ لا إلهَ إلا اللهُ؛ فإنَّ لها منَ الله الولايةَ العامةَ، فهم أولياءُ الله وإنْ أخطأوا وجاؤوا بقرابِ الأرضِ خطايا لا يُشركون باللهِ لَقيَهمُ اللهُ بمثلِها مغفرةً، ومنْ ثبتتْ ولايتُه فقد حرمَتْ محاربتُه، ومن

---

١) الفتوحات المكية (١٢/ ٥٥٦).

٢) رسائل ابن عربي، رسالة لا يعول عليه (ص ٢٠١).

حاربَ اللهَ فقد ذكرَ اللهُ جزاءَهُ في الدنيا والآخرةِ، وكلُّ منْ لم يُطلعْكَ الله على عداوتِهِ لله فلا تتخذْهُ عدوًّا، وأقلُّ أحوالِكَ إذا جهلتَهُ أنْ تُهملَ أمرَهُ، فإذا تحقّقتَ أنّهُ عدوٌّ لله -وليسَ إلا المشركَ- فتبرّأْ منهُ كما فعلَ إبراهيمُ الخليلُ عليه السلام في حقِّ أبيهِ آزرَ قالَ اللهُ عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[التوبة: ١١٤]، هذا ميزانٌ، يقولُ اللهُ تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ﴾ كما فعلَ إبراهيمُ الخليلُ ﴿أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[المجادلة: ٢٢]، ومتى لا تعلمُ ذلكَ فلا تُعادِ عبادَ الله بالإمكانِ، ولا بما ظَهَرَ على اللسانِ، والذي ينبغي لكَ أنْ تكرَهَ فعلَهُ لا عينَهُ، والعدوُّ لله إنّما تكرهُ عينَهُ، ففرْقٌ بينَ منْ تكرَهُ عينَهُ وهوَ عدوُّ الله، وبينَ منْ تكرَهُ فعلَهُ وهوَ المؤمنُ أو منْ تُجهلُ خاتمتُهُ ممّن ليسَ بمسلمٍ في الوقتِ. واحذرْ قولَه تعالى في الصحيحِ: «منْ عادَى لِيْ وَلِيًّا فقدْ آذنْتُهُ بالحَرْبِ»[1][2].

---

١) صحيح البخاري (٨/ ١٠٥)، برقم (٦٥٠٢): قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته.

٢) الفتوحات المكية (١٢ / ٤٢٦).

الكتب النادرة التي تُرفع لأول مرة

المصادر

١. الانتصار لأشرف الأذكار، لأبي المعالي صدر الدين محمد بن إسحاق القونوي (ت٦٧٣هـ)، دار الاحسان للنشر والتوزيع، مصر -القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م.

٢. الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن — الهند، دار إحياء التراث العربي — بيروت، الطبعة: الأولى، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢م.

٣. جزءٌ فيه شروط النصارى وبذيله أحاديث لأبي محمد عبد الوهاب بن أحمد الكلابي، عبد الله بن أحمد بن ربيعة بن زبر الربعي، أبو محمد (المتوفى: ٣٢٩هـ)، تحقق: أنس بن عبد الرحمن بن عبد الله العقيل، دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٤. درر الغواص من فتاوى سيدي علي الخواص (مطبوع بهامش الإبريز)، لسيدي عبدالوهاب الشعراني، طبعة قديمة، طبعت بمصر.

٥. الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: الدكتور محمد بن لطفي الصباغ، عمادة شؤون المكتبات - جامعة الملك سعود، الرياض.

٦. دمية القصر وعصرة أهل العصر، علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي، أبو الحسن (المتوفى: ٤٦٧هـ)، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ.

٧. ديوان الحلاج، جمع المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون.

٨. ديوان امرِئ القيس، امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (المتوفى: ٥٤٥م)، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٩. ديوان عمر بن أبي ربيعة، دار القلم، بيروت-لبنان.

١٠. ديوان لبيد بن ربيعة العامري، لَبِيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري الشاعر معدود من الصحابة (المتوفى: ٤١هـ)، اعتنى به: حمدو طمّاس، دار المعرفة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

١١. ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق، الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر الإمام المجتهد العارف بالله تعالى سيدي محيي الدين بن العربي قدس الله سره، ناظر طبعه: محمد سليم الأنسي، المطبعة الأنسية، بيروت، ١٣١٢هـ.

١٢. رسائل ابن عربي (كتاب اليقين وكتاب المعرفة)، تحقيق وتقديم: سعيد عبدالفتاح، الانتشار العربي.

١٣. رسائل ابن عربي، الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عربي الحاتمي الطائي (ت ٦٣٨هـ)، وضع حواشيه: محمد عبدالكريم النمري، طبعة جديدة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

١٤. سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

١٥. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا -

بيروت.

١٦. السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

١٧. شرح رسالة روح القدس في محاسبة النفس للشيخ الأكبر، جمع وإعداد: محمود محمود غراب، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

١٨. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٩. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

٢٠. صحيح البخاري المسمى: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢١. صحيح مسلم، والمسمى المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٢. عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة، أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد، أبو العباس الغِبْرِيني (المتوفى: ٧١٤هـ)، حققه وعلق عليه: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٩م.

٢٣. عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، دار الكتب العلمية –بيروت، ١٤١٨ هـ.

٢٤. الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق:

علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - لبنان، الطبعة: الثانية.

٢٥. الفتوحات المكية، للشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي، تحقيق: عبدالعزيز سلطان المنصوب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١٧م.

٢٦. الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٢٧. كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال.

٢٨. كشف الخفاء ومزيل الإلباس، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (المتوفى: ١١٦٢هـ)، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢٩. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (المتوفى: ٧٨٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٣٠. لسان الميزان، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢ م.

٣١. مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: ٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، لبنان.

٣٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

٣٣. مجموعة رسائل ابن عربي، تأليف الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر سيدي محيي الدين الحاتمي الطائي، دار المحجة البيضاء، بيروت -لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٤. محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر

والأخبار، للشيخ الأكبر العارف بالله العلامة محيي الدين بن عربي (المتوفى سنة ٦٣٨هـ)، دار اليقظة العربية، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

٣٥. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

٣٦. مسند ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي، دار الوطن – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧م.

٣٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٣٨. مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، مجموعة محققين، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

٣٩. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين — القاهرة.

٤٠. الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية — الكويت، الأجزاء ١ - ٢٣: الطبعة الثانية، دارالسلاسل — الكويت، الأجزاء ٢٤ - ٣٨: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة — مصر.

٤١. النخبة البهية في الأحاديث المكذوبة على خير البرية، محمد الأمير الكبير المالكي (المتوفى: ١٢٢٨هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي — بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٤٢. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (المتوفى: ١٠٤١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت – لبنان.

٤٣. نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (المتوفى: نحو ٣٢٠هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل – بيروت.

٤٤. اليقين، محيي الدين بن عربي (ت٦٣٨هـ)، دراسة وتحقيق: سعيد عبدالفتاح، كتاب اليوم للتراث.

فهرس

استهلال: قصيدة مولد الشيخ الأكبر ٥

المقدمة ٧

نصوص الشيخ الأكبر ٨

الإلهيات وفلسفة الوجود ٢٠

التنزيهُ وتأويلُ بعض الأخبار ٤٩

النبوّة والولاية ٢٥

التزام الواعظ بالكتاب والسنة، وعدم إنشاده الشعر الذي لم يقصد ناظمُه فيه اللهَ ورسولَه ﷺ ٥٧

علم الكلام: ٥٩

التصوف: ٦١

الشريعة والحقيقة: ٧٠

السماع ٧٨

الآيات وخوارق العادات: ٧٩

محبة أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأدب معهم عليهم السلام ٩١

تعظيم الصحابة رضي الله عنهم ٩٩

رجال الله ثلاثة ١٠٤

منزلة علماء الحديث الشريف: ١٠٧

من أخبار الشيخ مع بعض الملوك وبعض مسائل أهل الذمة ١٠٨

نصائح ووصايا ١١٥

المصادر ١٢٥

الفهرست ١٣٥

يقدم هذا الكتاب صورة لمعارف الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي من خلال مجموعة منتقاة بعناية من اقواله، وبما يبدد الأوهام حول الشيخ واعتقاداته ويبطل محاولات توظيف بعض كلامه المقطوع من سياقه بما يناقض حقيقة فكره. ويمثل مدخلًا جيدًا للتعرف على الشيخ الأكبر وتراثه العرفاني الضخم الفريد.

وتشمل أبواب الكتاب كلام الشيخ الأكبر في الإلهيات وفلسفة الوجود، والنبوة والولاية، وموقفه من علم الكلام، والتصوف والسلوك، والشريعة والحقيقة، وآل البيت والصحابة، والحديث الشريف، وجملة من نصائحه ووصاياه، وغير ذلك، مع الاعتناء بتوثيق نصوص الشيخ الأكبر من كتبه اعتناء تامًا.

وجامع الكتاب الأستاذ ذاكر عودة الحنفي عالم مُشَارِك مشتغل بالعلوم العربية والإسلامية وشاعر مطبوع، صدرت له المؤلفات الآتية:

- الفيوضات العلوية بتخميس الكواكب الدرية (بردة البوصيري)
- صوادح الغرام
- تنبيه الوسنان على الآجرومية بشرح الدحلان

وله من التحقيقات:

- العلَم الظاهر في نفع النسب الطاهر لابن عابدين الحنفي
- حاشية الآلوسي على القطر (تحقيق مشترك)
- الصادح بشهي النغم على أفنان ترجمة شيخ الإسلام وولي النعم لأبي الثناء الآلوسي
- التكميل شرح أصول البزدوي (تحت الطبع)

تصميم الغلاف: مصطفى علوان

دار الإحسان للنشر والتوزيع